وقف لله تعالى

إيقاظ أولي الهمم العالية
إلى اغتنام الأيام الخالية

وقف لله تعالى

إيقاظ أولي الهمم العالية
إلى اغتنام الأيام الخالية

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمد السلمان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الثامنة

١٤١٨ هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير الموكل
عنهم إبراهيم بن علي العودة جزاهم الله كلهم خيراً

من أراد طباعته لوجه الله تعالى لا يريد به عرضاً من الدنيا فقد أذن له وجزاه الله عني وعن المسلمين خيرًا . أسأل الله الكريم العلي العظيم الرؤوف الرحيم أن ينفع به من قرأه ومن سمعه وأن يأجر من دل عليه أو سعى به إلى من ينتفع به . اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بالايمان والاسلام وتفضل علينا ببيان الشرائع والأحكام ووعد من أطاعه واتبع رضاه الثواب في دار السلام .

وأوعد من عصاه بالعقاب في دار الهوان والانتقام .

نحمده على ما أفاض علينا من الأنعام . ونشكره وشُكرُ المنعم واجبٌ على الأنام .

ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه السادة الأعلام .

وبعد فإني قد جمعت بعون الله وتوفيقه في كتابي هذا فوائد ومواعظ ونصائح وحِكَماً .

وأحْكَاماً ووصايا وآداباً وأخلاقاً فاضلة .

من كلام الله جل جلاله وتقدَّسَتْ أسماؤه .

ومن كلام رسول الله ﷺ ومن كلام أئمة السلف .

وصالح الخلف الذين امتثلوا في أفعالهم وأقوالهم ما قاله الله جل جلاله وما قاله رسوله ﷺ .

وجَمَعْتُ مما قاله الحكماء والعلماء والعباد والزهاد أنواعاً جمة .

في فنون مختلفة وضروب متفرقة ومعاني مؤتلفة .

بَذلتُ في ذلك جُهْدِي حَسَبَ مَعْرفَتِي وقُدْرَتِي .

لَكِنَّ قُدْرَةَ مِثْلِي غَيْرُ خَافِيَـــــةٍ
والنَّمْلُ يُعْذَرُ في القَدْرِ الذي حَمَلَا

اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن

تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير .

يا الله يا حي وياقيومَ يامَن لا تأخذه سنةٌ ولا نوم .

يا بديع السموات والأرض .

فالقَ الحب والنوى ذَا الجلال والاكرام .

الواحدَ الأحدَ الفردَ الصمدَ الذي لم يلدْ ولم يُولَد ولم يكن له كفواً أحد .

الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور .

الأول الآخر الظَاهر الباطن الذي أحاط بكل شيء علما.

القوي العزيز الرحمن الرحيم .

الغفور الودود ذا العرش المجيد .

المُبْدئ المُعْيد الفعال لما يُريْد .

نَسْأَلُكَ أن تجْعَل عَمَلَنا خالصاً لوجهك الكريم وأن تفتح لِدُعَائِنا بابَ القَبُول والإِجَابَة .

وأن تَنْفَعَ بهذا الكتاب من قرأه ومَن سَمِعَه وأن تأجُرَ مَن طَبَعَهُ أو أعان على طبعه .

أو تَسَبَّبَ لِطَبْعِهِ وقفاً لِوجهك الكريم يُوزع على مَن ينتفع به مِن المسلمين .

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

عبدالعزيز آل محمد السلمان

[فصل في الحكمـــــــة]

قال الله تبـارك وتعالى ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحِكْمَـةَ فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألبابَ﴾ وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ما أَهْدَى المرءُ المسلمُ لأخيه هَدِيَةً أفْضَلَ مِنْ حِكْمَةٍ يَزِيْدُهُ بهَا هُدَى ويَرُدُّهُ بها عن رَدَى » أخرجه البيهقي في شُعْب الايمانَ وأبو نُعَيم في الحلية.

وقــال عليه الصــلاة والســلام « أوتِيْتُ جوامـع الكلم واخْتُصِرَتْ لي الحكمةُ اخْتِصَارا » .

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : بُعِثْتُ بجوامع الكلم .

وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حِكْمةً فهو يقضي بها ويعلمها » رواه البخاري ومسلم.

وقيل إن في التوراة أن الله قال لموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام [عَظّم الحكمة فإني لا أجعل الحكمة في قلب عبد إلا وأردت أن أغفـر له فتعلمها ثُم اعمل بها ثُم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة.

وخرج أبو يعلى الموصلي من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنـه عن النبي ﷺ قال : إني أوتِيْتُ جَوَامِعَ الكلم وخَواتمه واختصر لي الكـلام اختصارا وقال ﷺ : أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا .

وقـال لقمان إن القلب ليحيا بالكلمة مِن الحكمة كما تحيا الأرضُ بوابل المطر.

وقَالَ أبَانٌ بنُ سُليم : كلمةُ حِكمة مِن أخيك خيرٌ لك مِن مال يُعْطِيك.

وقال بعضُ الحُكماء الحِكمةُ صديقةُ العقل ، وميزانُ العدل ، وعينُ البَيان ، ورَوضَةُ الأرواح ، ومُزيْحَةُ الهُمُوم عن النفوس بإذن الله.

وأنْسُ المستوحِش وأمْنُ الخائف ومتجَرُ الرابح وحَظُّ الدنيا والآخرة بإذن الله لمن وفقه الله .

و سلامة العاجل والآجل لمن وفقه الله .

وقال آخر الحكمةُ نُورُ الأبْصَار ورَوضةُ الأفكار ومَطِيَّةُ الحِلْم وكفيلُ النَّجَاح .

وضمين الخير والرشد والداعية إلى الصواب والسفير بين العقل والقلوب .

لا تندرس آثارها ولا تعفو رُبُوعها كل ذلك لمن وفقه الله تعالى.

وروى عن الشعبي أنه قال لو أن رجلاً سَافَرَ مِن أقْصَى الشام إلى أقْصَى اليمن لِيَسْمَعَ كلمة واحدة ينتفع بها فيما يُسْتقْبَلُ مِن عمره ما رَأيْتُ أنَّ سَفَرَهُ قد ضاع .

وقال بَعْضُ العُلماء مَن تَفَرَّدَ بالعِلم لم تُوحِشْهُ الخَلْوَةُ ومَن تَسَلَّى بالكتُب لم تفُتْه سَلوة وإنَّ هذه القلوب تملُ كما تمل الأبدان فابتغوا لها طَرَائفَ الحِكْمة.

والحِكمة مُوقِظَةٌ للقُلوب مِن سِنَةِ الغَفْلة ومُنْقذَةٌ للْبَصَائِر مِن سِنَةِ الحَيْرة ومُحْيِيَةٌ لها بإذْن الله من مَوْتِ الجَهَالةِ ومُسْتَخْرِجَةٌ لَهَا مِن ضِيْق الضّلالةِ لِمَنْ وَفَّقه الله تعالى . والله أعلم وصلى الله على محمد.

[حكم وفوائد ومواعظ]

قيل لبعض العلماء لم تركتَ مُجالَسَةَ الناس قال ما بقي إلا كبير يَتحفَّظُ عليكَ أو صغيرَ لا يُوَقِّرُك .

من سوء الأدب في المجالسة : أن تَقْطَعَ على جليسكَ حَديثَهُ أو تبْدُرَهُ إلى تمام ما ابتدأ به تُرِيْهِ أنكَ أحْفَظُ له منه .

قال رسول الله ﷺ « المَجالِسُ بالأمَانَة وإنما يتَجالَسُ الرجلان بأمَانَة الله – عز وجل – فإذا تفرقا فليَسْتُرْ كل منهما حديث صاحِبه » .

روي عن عيسى عليه السلام أنه قال جالسوا مَن تُذَكِّرُكُمْ بالله رُؤْيته ويَزيدُ في عِلْمِكُم مَنْطِقُه ويُرَغِبُكم في الآخرة عَمَلُه .

قال مِسْعَرُ بن كدَام رَحم الله مَن أهْدَى إليَّ عُيوبي في سِتْرٍ بيني وبينه فهو الناصح فإن النصيحةَ في الملأ تَقريْع .

إيَّاكَ وكُلَّ جَليس لا يُفيْدُكَ عِلْماً ولا تكسبُ منه خَيْرًا وإيَّاك وطوْل المجَالَسَةِ لمَنْ لا يُفيْدُكَ علما نافعا فإن الأسُدَ إنما يَجْترِؤ عليها مَن أدَامَ النَّظَرَ إليها .

وقيل أزهَدُ الناس بالعالِم أهْلُهُ وجيرانه لِكثرة الاتصال بَيْنهُم كل شيء إذا تكرر يمل إلا كلام الله وكلام رسله .

جَميعُ الكتب يُدْركُ مَن قَرَاهَا ... مِلاَلٌ أو فُتُورٌ أو سآمَةْ
سِوَى القرآنِ فافْهَمْ واسْتَمِعْ لي ... وقول المُصْطَفى ياذا الشَّهَامَةْ

وقال آخر : يا بُنَيَّ لا تُمَكِّن الناسَ مِن نَفْسِكَ فإن أجْرَا الناسِ على السِبَاعِ أكثرُهُم لها مُعَاينَةً .

قال الشاعر :

رَأيتُ حَيَاةَ المرءِ تُرْخِصُ قَدْرَهُ   فإنْ مَاتَ أغْلَتْهُ المنايا الطَّوائحُ
كما يُخْلِقُ الثوبَ الجَديدَ ابْتِذَالُه   كذا تُخْلِقُ المرأَ العُيُونُ اللَّوَامِعُ

وقال بعض العلماء يصف أهل بلده :

يَرَوْنَ العَجِيْبَ كلامَ الغَريب   وأما القَرِيْبُ فــلا يُعْجِبُ
وجَوابُهــم عِندَ تَغْنِيْفِهــم   مُغَنِّيَةُ الحَيِّ لا تُطْــرِبُ

من التواضع الرضا بالدُون مِن المجلس .

ويروى عن ابن مسعود أنه قال إنَّ مِن التواضع أن تَرْضَى بالدُون من المجلس وأنْ تَبْدَأ بالسلام مَن لَقِيت .

قال إبراهيم النخعي إن الرجل لَيَجْلِسُ مَعَ القوم فَيَتَكَلَّمُ بالكلام يُرِيْد الله به فَتُصِيْبُهُ الرحمةُ فَتَعُم مَن حَولَه .

وإنَ الرجلَ يَجلِسُ مَعَ القوم فَيَتَكَلَّمُ بالكلام يُسْخِطُ الله به فَتُصِيْبُهُ السُخْطَةُ فتعمُ مَن حَوْلَهُ .

وقال ﷺ « وَيْلٌ لِلَّذي يُحَدِّثُ الناسَ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَهُمْ وَيْلٌ لَهُ ثُم وَيْلٌ لَهُ » .

وقال ﷺ « إن مِن شِرارِ الناسِ الذين يُكْرَمُونَ إتِّقَاءَ الْسِنَتِهِم » .

قُلْتُ وفي زَمَنْنَا هَذا قد كَثُروا جداً فكُن على حَذَرٍ منهم ومَن يَتَّصِلُ بهم عافانا الله وإياك من شرهم. والله أعلم وصلى الله على محمد

فصل في حكم وفوائد ومواعظ ووصايا ينبغي الاعتنـــاء بها

أجَلُّ السُرور رِضَى الرب جَلَّ وعَلاَ وتَقَدَّسَ .

أغْنى الغِنا صِحَةُ العَقِيْدة والفِقه في الدين .

القلوب الفارغة مِن طاعة الله مُوَكَّلَةٌ بالشهوات .

أفضل أمر الدين والدنيا وأشرفه العلم النافع والعمل الصالح والعلم النافع ما جاء عن النبي ﷺ :

أفضل ما في الآخرة رضى الله ورؤيته وسماع كلامه .

ومما أوصى به بعضهم ما يلي :

لا تَمِلْ مع الهوى وحلاوة الدنيا فإنهما يَصُدَّانِكَ عن الشغل بِمَعَادِكَ وتكون كالغريق المشتغل عن التدبير لخلاص نفسه بِحَمْلِ بِضاعةٍ ثقيلة قد اغتر بحسنها وهي سبب عَطَبِه .

وقال : أبْعدُوا عن مُخَالَطة الخَوَنَةِ والفَسَقَة ومُبْتَغِي الملاهي والضُّلال وأصحاب البدع كالأشاعرة والرافضة والمعتزلة والجهمية والصوفية المنحرفة .

واحذر أن تَغْتَرَّ بقول المُغَفَّلِين نُخَالِطُهُمْ لنَجْذِبَهُم إلى الاستقامة وهذا غَلَط .

أهْلُ البدعِ والفسقة وأصحاب الملاهي كأصحاب الكورة والتلفاز والفيديو مُجَالستهم تضر وهم مرضاء عقول .

والصحيح هو الذي يتضرر بمخالطة المريض .

وأما المريض فلا يبرأ بمخالطة الصحيح وقديماً قيل :

وما يَنْفَعُ الجَرْبَاءَ قُرْبُ صَحِيْحَةٍ
إليْهَا ولكِنَّ الصَّحِيْحَةَ تُجْرَبُ

يَبْقَى الصالحُ صَالحاً حتى يُصَاحِبَ فَاسداً فإذا صَاحَبَهُ فَسَدَ مثلُ مِيَاه الأنهار تكونُ حُلْوةً عَذْبةً حتى تُخَالِطَ ماءَ البَحْرِ فإذَا خَالَطَتْهُ مَلُحَتْ وَامْتَرَّتْ وفَسَدَتْ .

ولكن الدعاية إلى مخالطة أهل المنكر لجذبهم عنه خِدْعَة من إبليس وأتباعه لِسُخَفَاءِ العُقول .

فكم أوقعوا في هذه الشبكة مِن مُغَفَّل زَعَم أنه يجْذِبُهم فجذبوه وأغرقوه وبقى في الحسرة والندامة .

وقال : اعلموا واستيقنوا أن تقوى الله سبحانه وتعالى هي الحكمة الكبرى والنعمة العُظمى والسببُ الداعي إلى الخير والفاتح لأبواب الفهم والعقل والخير.

كَيْفَ الرَّحِيْلُ بِلا زَادٍ إلى وَطَنٍ
ما يُنْفَعُ المرءَ فيه غَيرُ تقواهُ
مَن لَمْ يكن زَادُه التَّقْوَى فليْسَ لَهُ
يَوْمَ القِيَامَةِ عُذْرٌ عِندَ مَوْلاَهُ

وقال استشعروا الحكمة وابتغوا الديانَةَ وعَودُوا أنفسَكم الوَقَارَ والسكينَةَ وتحَلوا بالآداب الحَسْنة الجميلة وتَرَوَّوْا في أموركم ولا تَعْجَلُوا ولا سيَّما في مُجَازَاةِ المُسيء .

واجْعَلُوا خَشْيَةَ الله حَشْوَ جُنوبكم في الحكم واحذروا النِّفَاقَ والرِّيَاء ولا تُزَكُوا الخونةَ ولا تُخَوِنُوا الأزْكِياء .

وقال إذا جادَلَكم المخالِفُونَ لكم في الدين بالفَضَاضَة والغلظة وسُوْءِ القول فلا تُقَابلُوهُم بمثلِ ذلكَ بَل قابلُوهُم بالرِفْقِ واللِّين واللُّطْفِ والدَّلالَةِ والهِدَايَةِ .

قال الله جل وعلا لنبيه ﷺ **﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن﴾** .

وقال جل وعلا وتقدس **﴿ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾** .

وقال عز من قائل في صفة أهل العبودية الخاصة **﴿وعباد**

الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قال سلاما﴾ وقال ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ .
وقال جل وعلا وتقدس ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ .
وقال عز من قائل ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ .

إذا نَطَقَ السفيهُ فلا تُجبْهُ   فخيرٌ مِن إجابَتِهِ السُكُوت
سَكَتُّ عن السفيهِ فَظَنَّ أني   عَيِيْتُ عن الجوابِ وما عَيِيْتُ

وقال حكيم أكثروا من الصمت في المحافلَ ولا تُطْلَقوا ألسنتكم بحضرة المتحفظين عليكم بِمَا عَسَى أن يجعلوه سلاحاً يضربونكم به وأقلوا المراءَ والهَذْرَ والفضلَ مِن القَول .

واحذروا مصاحبة الأشرار ، وأصحاب البدع في الدين ، والحساد ، والمشتملين على العداوة والأحقاد والجهال .

وإذا هممتم بالخير فقدموا فعله لئلا يعارضكم سواه فتَوَقفوا عنه . قال الشاعر :

وإذا هَمَمْتَ بأمر سُوءٍ فاتَّئِدْ   وإذا هَمَمْت بأمر خَيْرٍ فاعْجَل

وقال إتفقوا وتحابوا في الله وثابروا على الأعمالَ الصالحة مِنَ صيام وصلاة مع الجماعة وزكاة وحج .

ببصائر صافية ونية نقية صالحة غير متقسمة ولا مشوبة

وتوادوا على طاعة الله عز وجل والتقوى له ، واسعوا للخير وافعلوا له ، واجتهدوا فيه . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

[فصـــل]

عباد الله احرصوا على تأديتكُم لِفَرائض الله بالكمال والتمام والخشـوع والخضـوع ، من غير عُجْبٍ ولا استكبـار ، وإيَّاكم والتفاخر والتكاثر .

وعليكم بالسكينة والإخبات والتواضع لِتَسْتَثْمِرُوْ الخير من عمالكم . وتفوزوا برضاءِ ربكم .

وإذا فرط من الانسان بادرة إثم بأن ارتكب منكرا فعليه أن يُقْلِعَ فوراً ويَتُوب توبةً نصوحا ولا تحمله السلامَةُ منها على العودة إليها .

فإنها وإن سترت عليه في الـدنيا فإن أمامه يومُ الدين يومُ المُجَازات على الأعمال ، قال الله جل وعلا وتقدس **﴿فمَن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومَن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾** .

وأوصيكم بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قال الله جل وعلا وتقدس **﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم﴾** وقال جل وعلا **﴿ فمن اتبع هداي فلا يضـــل ولا يشقى ﴾** وقـال ﷺ « عليكم بسنتي وسنـة الخلفـاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » .

وتـأدبـوا بأدابهـما أي الكتـاب والسنـة ، واقتـدوا بالعلماء العاملين بعلمهم الذين جَعَلُوا الدنيا مطية للآخرة .

واحذروا كل الحذر من المتسمين بالعلم الذين هدفهم الدنْيَا فقط فضررهم عظيم وتحرزوا مِن المآكل الخبيثة فإن الله طيبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا .

واحتشموا المكاسبَ الدَّنيئةَ فإنها سَبَبٌ لِعَدِم قبوُل الدعاء .

اجْمَعُوْا بينَ مَحَبَّةِ الدِّيَانَةِ والحِكمِةِ وقفوا نفوسكم على تَعَلُّمِهَا .

وإن قدرتم على أن يكون زمانُ مَقَامكم في هذه الدنيا مصروفاً

بأسره إلى العمل بالكتاب والسنة فافعلوا .

ومتى كنتم بهذه الصفة سهل عليكم ما يصعب على غيركم وكان ما يحصل لكم مِن شرف الفضيلة أنفعَ مِن ذخَائرِ الأموال .

لأن عُرُوض الدنيا تفنى ولا تبقى وثوابَ الله يَبْقى ولا يَفنى .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خيرٌ وأبقى**﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿**وما عند الله خير للأبرار**﴾ عباد الله ساووا بينَ ظواهركم وبواطنكم في المخاطبات بينكم ، ولا تكن السنتكم مخالفةً لِضمائركم .

ولا تُخَالِفوا الرأيَ الصوابَ ، ومُشَاوَرَةَ النُصحاء ، لِتأمَنُوا مِنَ الندامَةِ ، وتسلموا من الملامة .

ولتَكُنْ أفواهُكم مَمْلُوءَةً بِحَمْدِ الله ، وذكره ، وشكره ، والثناءِ عليه وتقديسِهِ وتنزيهِهِ عن النقائص والعُيُوب .

وليكن همكم مَصْرُوفاً إلى طاعة ربكم سبحانه وتعالى ، واجتهدوا في دعائه بقلوب سليمة ، واعتقادات مستقيمة .

يَسْتَجبْ لكم ، ويُبَلِّغكم آمالكم ، ويفتح لكم أبواب الرشد في مساعيكم ومُتَوَجَّهَاتِكم ، ويَعْصِمَكُم مِن أَفْكار السُوءِ ، ويحفظ أنفسَكم مِن المكاره ، وينجيكم مِن فِخَاخِ الآثام ، ويُرِدَّ عنكم المخاوف ، فما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها .

وقال اكتسبوا الأصدقاء ، وقدموا الاختبار لهم قبل الاستنامَة إليهم ، ولا تعجلوا بالثقة بهم قبل الاختبار ، لئلا يلحَقكم الندمُ والأسف ، وتنالكم منهم المضرةُ .

أَبْلِ الرِّجَال إذا أَرَدْتَ إخَاءَهُمْ   وتَوَسَّمَنَّ أُمُورَهُم وتَفَقَّدِ
فإذا ظَفِرْتَ بذى الأمَانَة والتُّقى   فَبِهِ اليَدَيْن قريْرَ عَيْنٍ فاشْدُد

صُحْبَةُ أهـل الصلاح تُورثُ في القلبَ الصَّلاحَ وصحبةُ أهلِ الشرِ والفَسَاد تُورثُ في القلب الفساد .

أخُوكَ مَن عَرَّفَكَ العُيُوب وصَديْقُك مَن حَذَّركَ مِن الذُنُوب .

كان بعضِ العلماء لا يدع أحَداً يغتاب في مجلسه أحدا يقول إن ذكرتم الله أعَنَاكُم وإنْ ذكَرتم الناسَ تَركْنَاكُم .

وقال آخر : لا تكن وَلِياً لله في العَلانية وعَدُوَّهُ في السرِ .

وقال كل ما شَغَلكَ عن الله عز وجل مِنْ أهلٍ ومالٍ ووَلَدٍ فَهُو عَلْيكَ شُؤم .

إذا كانَتْ الآخرة بالقَلْب جَاءَتِ الدنيا تزاحمُها وإذا كانَتَ الدنيا بالقلب لم تزاحمها الآخرة لأنها كريمة فاجعل الآخرة في قلبك

ومن أعطاه الله فضلاً في دُنيا فليَحْمَدِ الله ، وليكثر من شكـره وذكـره ، ولا يفخَـرَنَّ به على أخيه ، ولا يتـداخله الكبْرُ والعُجْبُ والتعاظُمُ .

وقال : لا تبدر منكم عند الغضب كلمةُ الفحش ، فإنها تزيد العار والمنقصة ، وتلحقُ بكم العيب والهُجْنَة ، وتجر عليكم المآثم والعُقوبة .

وقال خيرُ الملوك شرفاً مَن بَدَّلَ سُنَّةَ السُوءِ في مملكته بالسنةِ الصالحةِ ، وشرهم مَن بَدَّلَ السُنَةَ الصالحةَ الحَسْنَةَ بالسُـنة السُوء .

والـدليل على غريزة الجـود السـماحـةُ عند العُسْرَة ومَعْنَى العُسْرَة (الضيق والشدة) .

والدليل على غريزة الوَرَع الصِّدْقُ عِنْد السّخط والبُعْد عن

الشبهات ومَواضع الرِّيَب والاكثار من ذكر الله وحمده وشكره والتفتيش على المآكل والمشارب والملابس ونحوها بدقة .

والدليل على غريزة الحلم العفو عند الغَضَب .

ومِن أعظم الناسِ مُصِيْبَةً مَن لم يكن له عقل ولا حِكْمَة ، ولا لَهُ في الأدب رَغبة .

لا يَبْخَل بالعلم على مُسْتَحِقِيْهِ إلا جَاهل قليل العلم ، وإن لم يكن قليل العلم فهو دَنِيء الهِمة حسَّاد .

ومَن جاد بالعلم والحكمة فهو أفْضَلُ ممَّنْ جاد بالمال وأبقى لِذِكْره ، لأن المال يَفْنِى والعِلمَ يَبْقَى ، والله أعلم وصلى الله على محمدَ وعلى آله وصحبه وسلم .

[فصل يحتوي على حكم وآداب متنوعة]

ما يَنْبغي للعـــالم أن يَطْلُبَ طَاعة غيرِه وطاعةُ نفسِه مُمْتَنِعَةٌ عليـــه .

يَا أيُّها الرجلُ المُعَلِّم غَيْـــرَهُ هَلاَّ لِنَفْسِكَ كانَ ذَا التَّعْلِيْمُ
تَصِفُ الدواءَ لِذِى السِقام مِن الضنى كيمـــا يَصِحُ بِهِ وأنْتَ سَـــقيمُ
ما زِلْتَ تُلْقِحُ بالرشَّادِ عُقُولنا عظت وأنت من الرشاد عَدِيْمُ

إذَا وَلِّيت أمراً فأبعد عنك الأشرارَ والفَسَقَةَ والمجرْمين فإن جميع عُيوبهم تُنْسَبُ إليكَ رَضِيْتَ أم سَخِطْتَ .

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينـــــه فكل قرين بالمقارن يقتــــــدي
آخر : فإنَّ قَرِينَ السُوء يُرْدِي وشَاهِدِي كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاة من الدَّم

الحكمة كالجواهر في الصدف في قعور البحار ، فلا تُنال إلا بالغَوَّاصين الحُذَّاق .

العَاقِل لا تَدعُهُ عُيُوبُه يَفرح بما ظهر من محاسنه .

النصح بين الناس تقريع .

إعادة الإعتذار تَذْكِيرٌ للذَنْبِ ومَا عَفَا عَنِ الذنب مَن وبَّخ بِــــــهِ .

رُبَّ كلام جَوَابُهُ السُكُوت ، ورُبَّ عَملٍ الكفُّ عنه أفضلُ ، ورُبَّ خصومة الاعراض عنها أصْوَب .

الدنيا تُهينُ مَن كانَتْ تكْـرمُه ، والأرضُ تأكل مَن كانَتْ تطْعِمُه .

نَميْرٌ مِن أمِّنَا الغَبْرَاءِ مِيْرَتُنَا   ولِلْبَسِيْطَةِ مِن أجْسَادِ نَامِيَـــرُ

أمَر الدنيا أقْصَرُ مِن أن تَتَعَادَى فيه النفوس ، وأن تتفانا وأنْ تطاعَ فيه الضَّغَائِن والأحقاد .

وقال : لا يستطيع أحد أن يَجِدَ الخيرَ والحكمةَ إلا أنْ تُخْلِصَ نَفْسُــه في المعاد ، ولا خلاصَ له إلَا أن تكون له ثلاثة أشياء : وزيرٌ، ووَلِيٌّ ، وصَدِيق .

فَوَزِيْره عَقْلُه ، وَوَليُّهُ عِفَّتُه ، وصَدِيقُه عَمله الصالح .

الجُوُد هو أنْ تجود بمالك ، وتصُون نفسَكَ عن مَال غيرك ، وأقصى غاية الجود أن تجود بنفسك في سبيل الله .

يَجُوْدُ بالنَّفْسِ إنْ ظَنَّ البخيلُ بها   والجُوْدُ بالنَّفْسِ أقْصَى غَايَةِ الجَود

قابِـل غضبَـك بحلمـك ، وجَهْلَك بعِلْمك ، ونِسْيَانَك بذِكرك ، وتزوَّدْ مِن الخَير وأنتَ مُقْبلٌ خيرٌ مَن أنْ تتزوَّدَ وأنتَ مُدْبر.

العَجَبُ مِمَّنْ يحتَمي مِن المآكل الرَّدِيئة ولا يترك الذنوبَ مَخافَةَ رب العالمين. ويَسْتَحِي من الخَلْق ولا يَسْتَحِي ممن لا تخفى عليه

خافية . قال تعالى ﴿ **يستخفون مِن الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم** ﴾ .

العَمَى خيرٌ من الجهل ، لأن العَمى يُخافُ منه السُقوط في حُفْرة ، والجهلَ يُخَاف منه الوقوعَ في الهلاك .

ينبغي لِلرَّئيس أن يَبْتَدِي بتقويم نفسِهِ قبل أنْ يَبْتَدي بتقويم رَعَايَاهُ .

وإلا كان بمنـزلة مَن رَامَ استقامة ظل مُعْوَجٍّ قَبْلَ تقويم عُودِه الذي هَو ظِلٌ لَهُ .

إبْدأْ بنفْسك فانْهَها عن غَيِّهَـــا فإذا إنْتَهتْ عنه فأنْت حَكَيُـــم
فهناكَ يُقْبلُ ما تَقُولُ ويُقْتَــــدَى بالرَّأي مِنْك ويَنْفَعُ التَّعْليــــمُ

استدامةُ الصحة تكون بإذن الله بتَرك التكاسُل عن التَّعب وبترك الامتلاء من الطعام والشراب وترنيب المآكل.

للقلب آفتان الهَمُّ والغَم ، فالغَمُ يَعْرِضُ منهُ النوم ، والهَمُّ يَعْرِضُ منه السهر .

العلم كثير والعمر قَصِيْر فخذ مِن العِلم أحْسَنه وما بَلّغك قليلُه إلى كثيره .

ما حوى العلم مِن الخلق أحد لا ولو حــــاوله ألف سَـــنةْ
إنَّما العِلْمُ كَبَحْرٍ زاخـــــرٍ فاتَّخذْ مِن كُلِّ شيءٍ أحْسَنَـــهْ

عَجباً لِمَنْ عرف الدُنْيَا وأنْهَا دَارُ فَنَاء كَيْفَ تُلْهيهِ عن دار البَقَاء التي فيها ما لا عينٌ رَأتْ ولا أذنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْب بَشَــــرْ .

إعـطاءُ المـريض مَا يَشْتِهيْهِ أنْفَـعُ لَه من أخْذِهِ بِكُلِّ مَا لا يشتهيه .

الدُنْيا تنصَحُ تاركَها وتغش طالبها فنصيحتُها لتاركها ما تُريْهِ مِن تَغيُرها بأهلها وفتكَها بهم ونكدها وكدرها وغُمُوْمِهَا وهُمُومها.

وغشها لطالبها ما تذيْقُه مِن لذة سَاعتها ثم تعْقبُهُ مَرارَة طَعْمِهَا وسُوء مُنْقلبَهَا.

طَالبُ الدُنيا كنَاظر السَّرَاب يحْسِبُهُ سَببأَلريه فيُتْعبُ نفسَه في طَلبه فإذا جَاءهُ خَانَه ظَنّه وفَاته أمَلُه وبَقِي عَطَشُهُ وَدَامَتْ حَسْرَتُه ونَدَامَتُهُ وخَسِرَ طُوْلَ عَنَائِهِ.

وقال آخر: الانسان في الدنيا مُعَذّبٌ بجميع أحْوَالِهَا غير باق عليه ما يَصِيْرُ إليه مِن أسْبَابهَا.

قليل التهنِئَة بما يجده مَن مَلاذهـا دائم النكـدِ والكَبـدِ والغُصَص بمفارقة أحبابه فيها.

يا هَذا الدنيا وراءَكَ والآخرةُ أمَامَكَ والطلبُ لما وَرَاءَكَ هَزِيْمَةٌ

إنما يُعْجَبُ بالدنيا مَن لا فهم له الدنيا كأضْغَاثِ أحلامَ تَسُرُّ النائِم.

لُعَبُ خيال يحسبها الطفلُ حقيقةً فأما العاقل فيفهمها.

رَأيْتُ خيَالَ الظل أكْبَرَ عِبْرَةٍ ... لَمنْ هُو في علْم الحَقِيْقَة رَاقِي
شُخُوصٌ وأشْبَاحٌ تَمُرُّ وتَنْقَضِي ... جَمِيْعاً وتَفْنَى والمُحَرِّكُ بَاقِ

قال ثابتُ بنُ قُرَّة: راحةُ الجسم في قلة الطعام، وراحةُ الروح في قِلَّةِ الآثام، وَرَاحَةُ اللسان في قلةِ الكلام قلت إلا بذكر الله فكثرته أولا.

والذنوب للقلب بمنزلة السُموم إنْ لَمْ تُهْلِكْهُ أضْعَفَتْه ولابُدَّ، والضَّعيفُ لا يَقْوَى على مُقَاوَمَة العَوَارِض، قال عبدالله بن المبارك:

رَأَيْتُ الذُنُوبَ تُميْتُ القُلوب وقد يُورثُ الذلَّ إدْمَانُهَــــا
وتَرْكُ الذُنُوب حَيَاةُ القُلوب وخَيْرٌ لِنَفْسِـــكَ عِصْيَانُهَـــا

كُلُ شَيَء إذا كَثُرَ رَخُصَ إلا العِلم والعَقل كُلَّمَا كَثُرَ أحَدُهُمَا غَـــــلا . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصــــــل]

أشَّدُ الأمُور تَأيِيْداً للعَقل أربَعَةٌ : استخارةُ الله ، ثم مُشَاوَرةُ العلماءِ المخلِصِينَ ، وَتَجْرِبَةُ الأمور ، وحُسْن التثبتِ والتوكلِ على الله .

وأشدُها ضرراً على العقِل الاستبدادُ بالرأي ، والتهاونُ ، والعجلة .

قال بعض العلماء إذا ظفـر إبليس مِن ابن آدم بثـلاث لم يطلبه بغيرهن : إذا أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ ، واسْتَكْثَرَ عَملَهَ ، ونَسيَ ذُنُوبَهُ .

ثلاثةٌ مِن أقل الأشياء ولا يزْدَدْنَ إلا قِلَّة : دِرْهَمٌ حَلال تُنْفِقُه في حَلال ، وأخٌ في الله تأنسُ به وتسْكنُ إليه ، وأمِينٌ تطَمئن إليه وتستريح إلى الثِقَة به .

إذَا عَادَيْتَ امْرَأً فلا تعادى جَمِيْعَ أهله ، بل صادِق بعضهم ، لِيَكُنْ سِلاحاً لَكَ عليه ، ويكف أذيته عَنكَ .

قيل لبعضهم من الذي يَسْلم غالباً مِن الناس ، قال مَن لم يَظْهـرْ منـه لهم خَيرٌ ولا شر ، لأنـه إنْ ظهـر منه لهم خيرٌ عَادَاهُ شِرارهم ، وإن ظهر منه شر عَادَاهُ خِيَارهم .

إحْـرَصْ على مجالسة العُلماء المستقيمين فإنَّ العُقولَ تلقُح العُقول ، واحْذَرْ مِن علماءِ الدُنيا كُلَّ الحَذَر فهم الذئاب الضارية .

لا تُفْني عُمُرَكَ في البَطَالة ولا بالكد فيها لا منفعة لك به .

ولكنَ أفْنِه في الباقيات الصالحات لِتَفُوزَ بِرِضَا الله .

قال أحد الملوك لأحد الحكماء مَن ترى نُوَلِّيَ القضاء قال وَلِّه مَن لا يَهُزُّهُ المدحُ ولا يُمْحِكُه الاغراء ولا تضْجِرُهُ فَدَامَةَ الغَبي ولا يَغُره فَهْمُ الذكي .

وقال آخر : إن السعاةَ أخْبَثُ مِن اللصوص لأن اللصوص يَسلِبُونَ الأموالَ وهؤلاء يَسْلِبُونَ المَوَدَّات . قُلْتُ ويُوقِعُونَ في المهالِكِ والأضرَار .

تَنَعَّمْ بمالِكَ قبل أن يَتَنَعَّمَ به غَيْرُكَ واحرص على بذله فيما يقربك إلى الله والدار الآخرة كبناءِ مَسَاجدَ وبث كُتُب دِيْنِيَّةٍ تُعِيْنُ على فهمِ الكتاب والسنة واحذر أن يكونَ عوناً على معَاصي الله .

مَن نزلت به مصيبة فأراد تخفيفها وتمحيقها فليتصَوَّر أكثر مما هي وأعظم تهن عليه و ليرجو ثوابها يرى الربح في الاقتصار عليها .

وليتصور سرعة زوالها فإنه لولا كرب الشدة ما رُجيتَ ساعة الراحة .

ولْيَعْلَمَ أن مدة مقامها كمدة مقام الضيف فليتفقد حوائجه في كل لحظة فيا سرعة انقضاء مقامه .

قال عمر بن الخطاب : الفَواقِرُ في ثلاث : جارُ سُوءٍ في دار مقام إن رأى حَسَنَةً سَترها وإن رأى سَيئَةً أذاعَهَا , وإمرأة سُوْء إنْ دَخلْتَ لَسَنَتْكَ (أي سَلِيْطَةُ اللِّسان) وإنْ غِبْتَ لم تأمَنْهَا ، وسُلْطَانٌ جَائِر إنْ أحْسَنْتَ لم يَحْمَدْكَ وإنْ أسَأتَ قَتَلَكَ .

قال الحسن لولا ثلاث ما وَضَع ابنُ آدم رأسَهُ : المرض ، والفقر ، والموت .

كَدَرُ العَيش في ثلاث : الجار السوء ، والولد العاق ، والمرأة السيئة الخُلُق .

حب الـدنيا يُورثُ الضَّغـائِنَ والعـداوات ويَزْرَعُ الأحقـادَ ويُكْمِّنُ الشَرَ ويَمْنَعُ البرَ ويُسَببُ العُقوقَ وقَطِيعَةَ الرحم والظُلم .

طالب الدنيا قصيرُ العُمرِ كثيرُ الفكر فيما يَضر ولا ينفع .

طالب الدنيا كراكب البَحر إن سَلم قيلَ مُخَاطِر وإن عَطِبَ قيل مَغْرُور .

شعـــــراً :

ألا كُلُ حَيٍ هالِكٌ وابنُ هَالِكٍ ... وذُوْ نَسَبٍ في الهالكينَ عَـريْقُ

فَقُلْ لِغَريْبِ الدارِ إنَّكَ رَاحِلٌ ... إلى مَنْزلٍ نَائي المَحَلِّ سَحِيْق

وَمَا تَعْدَمُ الدُنيا الدَّنِيَّةُ أهْلَهَا ... شِواظَ حَريْقٍ أو دُخَانَ حَريْق

تُجَرِّعُ فيها هَالِكاً فَقْدَ هـــالِكٍ ... وتشجى فَرِيقاً مِنْهُموا بفــريق

فلا تَحْسَبِ الدُنيَا إذَا ما سَكَنْتَهَا ... قَرَاراً فَما دُنْيَاكَ غَيْرُ طَــــريق

إذا امْتَحَنَ الدنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَتْ ... له عن عَدوٍ في ثِيَابِ صَـــدِيق

عَلَيْكَ بدارٍ لا يَزَالُ ظِلالُهـــــا ... ولا يَتَأذَى أهْلُهَـــا بِمَضِيْـــق

فَما يَبْلُغُ الرَّاضِي رِضَـــاهُ بِبُلْغَةٍ ... ولا يَنْفَعُ الصَّـــادِي صَداهُ بِريْق

مَن خاف مِن شيء عمل ما يُؤَمِّنُه ، فَمَن خَافَ مِن الموت فليَعْمَلْ ما يَرجُو به السلامَةَ وبابُ التوبةِ مفتوحٌ ، وأبوابُ الخيرِ مَفتُوحَة . وقد حث الله ورسوله عليها .

العاقلُ يُعْرَفُ بكَثْرةِ صَمْتِهِ ، والجاهلُ يُعْرفُ بكَثْرة كَلامِهِ .

الكـلام مملوك للانسان مالم ينطق به صَاحبه فإذا نَطقَ به خَرجَ عن مُلْكِه لَهُ .

حُسْنُ الخُلُق يُغطي غَيْرَهُ مِن القَبَائح ، وسُوءُ الخُلُق يُغطي غَيْرَهُ مِن المحاسِن .

مَنْ حَسُنَ خُلُقه طَابَتْ عِيشَتُه ودامَتْ سَلامته في الغالب وتَأَكَّدَتْ في النفوس مَحَبَّتُه ، ومَنْ سَاء خُلُقه تَنكَدَتْ عِيشَته ودَامَتْ بُغْضَتُه ونَفَرَتِ النُفوسُ منه .

قال الله جل وعلا وتقدس لنبيه ﷺ **﴿ولو كُنْتَ فَظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾** .

حُسْنُ الخُلُق يُؤدي غَالباً إلى السلامَةِ ويُؤمِنُ مِن الندامة ويُسَبِّبُ الأُلفة ويبعث على الفعل الجميل ويُؤمِنُ مِن الفُرقة بإذن الله تعالى ، ومن ساء خُلُقه اجتمع عليه نكد الدنيا والآخرة .

شعــــــراً :

لأنْ كانَتِ الأفعالُ يَوْماً لأهلِهــــا ... كَمَالاً فحُسْنُ الخُلْق أبْهَى وأكْمَلُ
وإنْ كانَتِ الأرزاق رزقاً مُقَــدَّراً ... فقلّتُ جُهْدِ المَرْءِ في الكَسْب أجْمَلُ
وإنْ كانَتِ الدُنيا تعَدُّ نفِيسَــــةٍ ... فَدَارُ ثوابَ الله أعْلى وأنْبَــــلُ
وإنْ كانَتِ الأبدانُ للْموتِ أنْشِئَتْ ... فَقتْلُ أمْرِيءٍ بالسَّيْف في الله أفْضَلُ
وإنْ كانَتِ الأموالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُهَــا ... فما بالُ مَتْرُوكٍ به المرء يَبْخَــلُ

وقال ﷺ « البر حَسْنُ الخلق » .

وقال ﷺ « إن من خياركم أحْسَنكم أخلاقا » .

وقـال ﷺ « مَا مِن شىءٍ أثقل في مِيزَانِ العبد المؤمن يوم القيامة مِن حُسْن الخُلُق » .

وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنةَ قال « تقوى الله ، وحُسْنُ الخُلُق » .

وقال ﷺ « أكمل المؤمنين إيماناً أحْسَنهم خُلُقاً » .

وقال ﷺ « إن المؤمن لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصائِمِ القائم » .

وقال ﷺ « إنَّ مِن أحَبكم إليَّ وأقْرَ بكم مِني مَجْلِساً يومَ القيامةِ أحَاسِنكم أخْلاقا » .

وقيل في تفسير حُسْن الخُلُق : هو طَلاَقةُ الوَجْهِ ، وبَذْل المعروف ، وكَفُّ الأذى وطِيْبُ الكلام وقلة الغضب واحتمال الأذى .

لأجْلِ حُبِّ الدُنْيا صُمَّت الأسماعُ عن ما يَنْفَعُ الانسانَ دُنياً وأخْرى ، وعَمِيَتِ القُلُوبُ عن نُور البَصِيْرَةِ .

يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أن لا يغتَرَّ بحُسْنِ شَبَابِهِ وصِحَّةِ جِسْمِهِ .

فإن عاقبةَ الصحةِ السقم وربما أعقبه الموت .

لا تَغْترر بشَبَابِ ناعِمٍ خَضِلٍ	فكم تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْب شُبَّانُ

مَن ألْهَمَ نَفسَه حُبَّ الدُّنيا امْتَلأ قلبُه من ثلاثَ خلالَ : فقر لا يُدْرِكُ غناه ، وأملٍ لا يَبْلُغُ مُنْتَهاه ، وشُغْلٌ لا يُدْرِكُ فَنَاه .

مما يَنْبَغِي ويُسْتَحْسَنُ عِمارَةُ الذِهن بالحكمة ، وجلاءُ العقل بالأدب ، وقمعُ الغضب بالحلم ، وقمعُ الكِبر والعُجْب بالتواضع .

وقمع الشهوة بالزُهْدِ والعِفةِ ، وتَذْلِيلُ المَرَحِ بالسُكُون ، ورَدْعُ الحِرص بالقَنَاعَةِ يُكْسِبُ رَاحَة النفس والبَدَنِ .

هي القناعةُ فالْزَمْها تكنْ مَلِكاً	لو لم يَكنْ لكَ إلا راحةُ البَدَنِ
آخر : إذا كُنْتَ في الدنيا قَنُوعٍ	فأنْتَ ومالكُ الدنيا سَوَاء
آخر: أكْرمْ يَدَيْكَ عن السُؤالِ فإنَّما	قَدْرُ الحَياةِ أقلُّ مِنْ أنْ تَسْألاَ
ولَقَدْ أضَمُّ إليَّ فَضْلَ قَنَاعَتِي	وأبيْتُ مُشْتَمِلاً بها مُتَزَمِّلاَ
وأرى الغُدُوَّ على الخَصَاصَةِ شَارَةً	تَصِفُ الغِنى فتخَالُني مُتَمَوِّلاَ
وإذا الفَتى أفْنى اللّيَالِيَ حَسْرَةً	وأمَانِياً أفْنَيْتُهُنَّ تَوَكُّلاَ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصــــــــل]

قال لقمان لابنه يا بني أكثر من ذكر الله عز وجل ، فإنَّ الله ذَاكرُ مَن ذَكَرَهُ قال جل وعلا وتقدس **﴿فاذْكُروني أذْكُركُم﴾**

يابُنَيَّ لتكُنْ ذُنوبُكَ بينَ عَينَيْكَ ، وعَمَلُكَ خَلْفَ ظَهْرِكَ ، وفِرَّ مِن ذُنُوبِكَ إلى الله ، ولا تَسْتَكْثِرِ عَمَلَكَ .

يابُنَيَّ إذَا رَأَيْتَ الخاطِىءَ فلا تُعَيِّرْهُ واذْكُرْ ذُنُوبَكَ فإنما تسأل عن عَمَلِكَ .

يابُنَيَّ أطِعْ الله فإنَّهُ من أطاعَ الله كفاهُ مَا أَهَمَّهُ وعَصَمَهُ مِن خَلْقِهِ .

يابُنَيَّ لا تَرْكَنْ إلى الدنيا ولا تُشْغِلْ قَلبَكَ بحبها فإنَكَ لم تُخلَقَ لها ومـا خَلَقَ الله خَلْقاً أَهْوَنَ عليه منها لأنه لم يَجْعَلْ نِعْمَتَهَا ثَواباً لِلْمُطِيْعِين ولم يَجْعَلْ بَلاهَا عُقُوبةً لِلْعَاصِيْنْ .

مَيَّزْتُ بَينَ جَمَالِهَا وفِعَالِهَـــا   فإذَا المَلاحَةُ بالقَبَاحَـــةِ لا تَفِي

حَلَفَتْ لنا أن لا تخونَ عُهُودَنَـــا   فَكَأنَّمَا حَلَفَتْ لَنَا أنْ لا تفـــي

وقال الله جل وعلا **﴿وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾** وقال تعالى **﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾** وقال ﷺ « من أصبح وهمه الآخرة جمع الله عليه أمره وحفظ عليه ضيعته وأتته الدنيا وهى راغمه » الحديث .

وحقيقة الزهد خروج حب الدنيا والرغبة فيها من القلب .

وهوان الدنيا على العبد حتى يكون إدبار الدنيا وقلة الشىء أحب إليه وآثر عنده من إقبالها وكثرتها هذا من حيث الباطن .

وأما من حيث الظاهر فيكون متجافياً عنها مع القدرة عليها .

ويكون مقتصراً من سائر أمتعتها مأكلاً وملبساً ومسكناً وغير ذلك على ما لا بد منه. قلت هذا في عصرنا نادر الوجود كالكبريت الأحمر.

كما قال ﷺ « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب » .

يابُنَي لا تَفْرَحْ بطُول العَافية ، واكْتُم البَلْوَى فإنه مِن كُنُوزِ البر ، واصبر عليها فإنَّهُ ذُخْرٌ لَكَ في المعاد .

يابُنيَّ عليك بالصَبر واليقين ومجاهدة نفسك ، واعلم أَنَّ الصبر فيه الشوقُ (أي الشرف) .

وفيه الشفقةُ والزهادةُ والتَرَقُبُ .

فإذا صبرت عن محارم الله وزَهدت في الدنيا وتَهَاوَنْتَ بالمصائب (أي مصائب الدنيا) لم يَكُنْ أحَبَّ إليكَ مِن الموت وأَنْتَ تَتَرقَبُه .

وإيَّاكَ والغَفْلَةَ ، خَفِ الله ولا تُعْلِمْ بذلك الناسَ ، ولا يَغُرَنَّكَ الناسُ بما لا تَعْلم مِن نفسِكَ ، لا تغتر بقول الجاهل إن في يَدَكَ لُؤْلُؤةً وأنْتَ تعلم أنَّهَا بَعْرَةٌ .

يابُنَيَّ كنْ لَيِنْ الجانب ، قريْب المعروف ، كثيرَ التفكر قليلَ الكلام إلا في الحق ، كَثِير البُكاء قَليل الفرح .

ولا تمازِحْ ولا تصَاخِبْ ولا تمارِ ، وإذا سَكتَّ فاسْكُتْ في تَفكُرٍ ، وإذا تَكلمتَ فتكلم بحِكَم .

يابُنَيَّ لا تُضَيِّعْ مالَكَ وتُصْلِحْ مَالَ غَيركَ ، فإن مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ، ومَالَ غيرِكَ مَا تَركْتَ وَرَاء ظَهْرِكَ .

يابُنَيَّ اجْعَلْ هَمَّكَ فِيما كُلفتَ ولا تجعَلْ هَمَّكَ فيما كُفِيْتَ ، لا تَهْتَمَّ لِلدُنيا فَتشغِلُكَ عن الآخرة .

وقال يابُنَيَّ إذا أنعم الله عليك نعمةً فَلْيُرَ أَثَرُهَا عَليكَ في شُكْرِكَ وتَواضُعكَ وإحْسَانكَ إلى مَن هُوَ دُونك .

وقال لِكُل شيءٍ آفةٌ وآفةُ العَمَل العُجْبُ ، لا تُرائِي الناسَ بما يَعْلم الله منكَ غَيْرَهُ .

ولا تُعْجَبَنَّ بما تَعْمَلْ وإنْ كثر ، فإنَّكَ لا تدري أيَقْبَل الله منكَ أمْ لا . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

[فصـــــل]

يابُنَيَّ أداءُ صلاتِـكَ التي فُرضَتْ عَليكَ أفضلُ مِن كُلّ ما تعمل .

يابُنَيَّ جَالِسْ قَومـاً يَذْكُـرونَ الله ، فإنْ كُنْتَ عَالمـاً نَفَعَكَ علْمكَ ، وإن كُنْتَ جَاهلاً عَلَّمُوكَ ، وإنْ نَزَلَتْ عَليهم رحمةٌ أو رِزْقٌ شَرَكتهمُ فيه .

يابُنَيَّ لا تجالِسْ قومـاً لا يذكرون الله ، فإن كنْتَ جَاهلا زادُوْك ، وإن كُنْتَ عالماً لم يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ شيئا ، وإن نَزَلَتْ عليهم لَعْنَةٌ أوْ سَخَطٌ شَرَكْتهُم فيها .

وقـال اعتـزلُـوا شِرَارَ الناسِ تَصْلَحْ لكم قُلُوبُكُم وتَسْتَرِحْ أبْدَانُكُم وتَطِبْ نُفُوسُكم .

وقال : اشْكُر لِمَنْ أنْعَم عَليكَ وأنعم على مَنْ شَكَرَكَ فإنَّه لا بَقَاءَ للنِّعْمَةِ إذا كُفِرَتْ ولا زَوَالَ لها إذا شُكِرَتْ .

وقال : لقاء أهل الخَير عمارَة القلوبَ .

وقال يابنيَّ إن الدنيا بَحْرٌ عَمِيْقٌ وقد غرقَ فيها ناسٌ كثير، فاجْعَلْ سَفِيْنَتَكَ فيها تَقْوىَ الله ، والأعمال الصالحَةَ بِضَاعَتَكَ التي تحمِلُ فيها .

والحِـرْصَ عليهـا رِيْحُـكَ ، والأَيَّامَ مَوْجُهَـا ، وكتابَ الله دَليْلَهَـا ، ورَدُّ النفس عنَ الهـوى حِبالها والموتُ سَاحِلَهَا والقيامةُ

أرضُ المَتْجَرْ التي تَخْرُجَ إليها ، والله مَالِكُهَا .

يا مَنْ تَمَسَّكَ بالدنيا وزُخْرُفِهَا وجَدَّ في جَمْعِهَا بالكَدِّ وَالتَّعَب
هَلاَّ عَمَرتَ لِدَارِ أنتَ تسْكُنُهَا دَارِ القَرارِ وفيها مَعْدِنُ الطَّلَب
فَعَنْ قَلِيلٍ تَراهَا وهْيَ دائرةٌ وقَدْ تَمزَّقَ ما جَمَّعْتَ مِن نَشَب

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : يُؤْتَى بالدنيا يَوْمَ القيامة عَلى صُوْرةٍ عَجُوزٍ شَمْطَاءَ زَرْقاءَ ، أنيابُها بادِيَةٌ مُشَوَّهَةُ الخِلْقَة لا يَرَاهَا أحَدٌ إلا كَرِهَهَا ، فَتُشْرِفُ على الخلائق فَيُقَال لَهُمْ أتَعْرِفُونَ هَذِهِ .

فيقال لهم هَذه التى تَفَاخَرْتُم وتَحَارَبْتُم عليها ، ثم يُؤمَرُ بها إلى النار فَتَقولُ يا ربِّ أيْنَ أتبَاعِي وأصْحَابِي وأحْبَابِي فَيلْحقُونَهَا .

وَوَجْهُ إلقائها في النار لِيَنْظُرَ إليها أهْلُها فيرَوْنَ هَوانَهَا على الله جَلَّ وَعَلا .

وذكر في الخبر عن عيسى عليه السلام أنه كان ذاتَ يوم ماشِياً إذْ نَظر إلى امْرَأةٍ عَليها مِن كُل زِيْنَةٍ فَذَهَبَ لِيُغَطِي وجْهَهُ عنهاً

فقالَتْ إكشفْ عن وجْهِكَ فلَسْتُ بإمرأة أنا الدنيا ، فقال لَهَا ألكِ زَوْجٌ ، فَقَالَتْ لَهُ لِيْ أزْوَاجٌ كثير فقال أكُلُ طَلَّقَكِ أمْ كُلاً قَتَلْتِ .

فَقَالَتْ بَلْ كُلاً قَتَلْتُ فقال حَزِنْتِ على أحدٍ منهم فقالَتْ هم يَحْزَنْونَ عَلَيَّ ولا أحْزَنُ عليهم ويَبْكُونَ عَلَيَّ ولا أبْكِي عَليهم .

ولو كانَتِ الدُنْيا عَرُوْساً وجَدْتَها بها قَتَلْتْ أوْلاَدَهَا لاَتَزَوَّجْ آخر

اخـــــر :

ولو كانَتِ الدُنْيَا مِن الإنْسِ لم تكُنْ سِوَى مُوْمِسٍ أفْنَتْ بِمَا سَاء عُمْرَهَا

ورُوي أن رَجُلاً قَدِمَ على النبي ﷺ مِنْ أرض فسَأله عن أرضهم فأخبرهُ عن سَعَتِها وكثْرَةِ النَّعِيم فيها فقال رسول الله ﷺ : كَيْفَ تفعلون.

قال إنـا نتخذ ألواناً من الطعام ونأكلها ، قال رسول الله ﷺ : ثم تصير إلى ماذا .

قال إلى ما تعلم يا رسول الله ، يعني تصير بولا وغائطا فقال رسول الله ﷺ : فكذلك مَثَلُ الدنيا .

قَدْ نَادَتِ الدُنْيَا على نَفْسِهَـــا لَو كانَ في العَالَم مَن يَسْمَـــعِ

كَمْ واثِقٍ بالعُمْر أَفْنَيْتُـــهُ وجَامِـــعٍ بَدَدْتُ ما يَجْمَعُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــــل]

ثم اعلم أن الدنيا عبارة عن كل ما يشغل عن الله قبل الموت فكلما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهى الدنيا .

وليس كل ذلك مذموم بل المذموم المنهى عن محبته هو كل ما فيه حظ عَاجل ولا ثمرة له في الآخرة .

وإذا سَمِعْتَ بذم الـدنيا فاعلم أنه ليس راجعاً إلى زَمانِها الذي الليل والنهار المتعاقبان إلى قيام الساعة .

فإن الله سبحانه وتعالى جَعَلَهُمَا خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا .

وليس الذم راجعاً إلى مكان الدنيا وهو الأرض ولا إلى ما أنبته الله فيها مِن الشجر والزرع .

فإن ذلك كله مِن نعم الله على عبـــــاده لِمَا لَهُم فيه مِن المنافعِ والمصالحِ والاعتبارِ والاستدلالِ بذلكَ على وحْدَانِيَّةِ الله وقدرته وعَظمته وحِكمتِهِ ورحمتِهِ بعباده .

قال جل وعلا ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ وقال تعالى ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ .

وإنما المذموم أفعال بني آدم مِن المعاصي الكبائر والصغائر كالشرك وترك الصلاة وترك الزكاة أو الصوم أو الحج وكالكذب على الله أو على رسله أو كراهة ما أنزل الله أو قتل نفس بغير حق أو ظلم أو شهادة زور

واللواط وقذف المحصنات والسحر والزنا والربا والتولي يوم الزحف والرياء والعقوق وقطيعة الرحم وأكل مال اليتيم والسرقة والغصب والنميمـــة والغيبة والكبر والحسد والعُجْب والخمر والدخـــــان .

واللهـو واستعـمال الآتـه والاجتـماع مع الكفـار والتاركين للصلاة ومواكلتهم واستخدامهم مزارعين أو سائقين أو خدامين أو خياطين أو فراشين أو نحو ذلك .

نسـأل الله الحي القيوم الـذي لا تأخـذه سنة ولا نوم أن يعصمنا وإخواننا المسلمين منهم وأن يتوفانا ما أضَلَّنَا سَقْفٌ مَعَهم .

ومما يدخل في الدنيا المذمومة ، ما قادَ العبدَ إلى المعاصي وشوقه إليها وألهاه عن ذكر الله وأغفله عن الآخرة .

وذلك كاللعب بالكورة ، والجلوس عند التلفاز ، والفيديو، والمـذياع ، وضياع الوقت في المجلات ، والجرائد ، واللعب في

الورق، والاشتغال بحظوظ الدنيا ، والإعراض عن الله .

والتكاسل عن طاعته والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد ، وإيثار ملذات الدنيا وشهواتها على الآخرة .

جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سمع رجلا يسب الدنيا فقال له : إنها لدار صِدْق لِمَنْ صَدَقَها ، ودارُ عَافِيَة لِمَنْ فِهَمَ عنها ، ودارُ غِنَى لِمَنْ تزود بها .

مَسْجِدُ أحْبَابِ الله ، ومَهْبَطُ وحْيِهِ ، ومُصَلَّى مَلائِكتِهِ ومَتْجَرُ أولِيَائِهِ .

اكتَسَبُوا فيها الرحمَةَ ، وربحوا فيها الجنة ، فمن ذَا يذُمُ الدنيا وقد آذَنَتْ بفراقها، ونادت بعيبها، ونعت نفسها وأهلها، فَمَثَّلَتْ ببَلائها وشَوَّقَتْ بسُرورها إلى أهل السرور .

فَذَمَّهَا قومٌ عند الندامة ومَدَحَهَا آخرونَ، حدثَتْهُم فصَدقوا وذكرتهم فذكروا .

فيا أيها المغتر بالدنيا المغتر بغرورها ، متى استلأمت إليك الدنيا ، بل متى غرتك أبمضاجِع آبائكَ تحتَ الثرى ، أمْ بمصارِع أُمَّهاتِكَ من البلى .

نَقِمْتَ على الدنيا ولا ذَنْبَ أسْلَفَتْ إليكَ فأنتَ الظَّالِمُ المُتَكَذِّب
وهَبْهَا فَتَاةً هَلْ عَلَيها جِنَايَةٌ بِمَنْ هُوَ صَبٌ في هَوَاهَا مُعَذَّبُ

كم قَلَّبْتَ بكفيك ومَرَّضْتَ بيدك تطلب له الشفاء وتسأل له الأطباء فلم تَظفُر بحاجَتِكَ ولم تُسْعَفْ بطِلْبَتِكَ قد مَثلَتْ لك الدنيا بمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ غداً ولا يُغْني عَنكَ بُكاؤُكَ ولا يَنْفَعُكَ أَحْبَابُكَ .

قال ابنُ رجب رحمه الله على كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه :

فَبَيَّنَ أمير المؤمنين رضي الله عنه أن الدنيا لا تُذَمُّ مُطْلَقًا وأنها تُحمَدُ بالنسبة إلى مَن تزودَ منها الأعمالَ الصالحةَ وأن فيها مساجدُ الأنبياء ومَهْبَطُ الوحي .

وهيَ دَارُ التجارةِ لِلْمُؤْمنين اكتَسَبُوا فيها الرحمةَ وربحُوا بها الجنةَ فهي نِعمَ الدارُ لِمَنْ كانَتْ هذه صفَتُه .

وأمـا ما ذُكـرَ مِن أنها تَغُـر وتَخْدَعُ فإنها تُنادِي بمَواعِظها وتنصَحُ بعِبَرها وتُبدِي عُيُوبَهَا بما تُرى من أهلها مِن مَصَارِعِ الهلكى .

وتقَلُّب الأحوال مِن الصحة إلى السَقم ، ومِن الشبيبة إلى الهرم ومِن الغنى إلى الفقر ومِن العز إلى الذُل ولكن مُحِبُّهَا قَد أعماهُ وأصَمَّهُ حُبُّهَا .

نَعَمْ إنها الدنيا إلى الغَدْرِ دَعْوَةٌ أجَـابَ إليها عَالِمٌ وجَهُوْلُ
فَفَارَقَ عَمْرو بنُ الزُبَيْرِ شَقِيْقَهُ وخَـلَّى أمِـيْرَ المؤمِنِـيْنَ عَقِيْـلُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــل]

روى أن عبدالعزيز بن مروان رحمه الله قال : لما حضرته الوفاة إئتُوْني بكَفَنِيْ الذي أكَفَّنُ فيه أنظُر إليه فلما وُضِعَ بَينَ يدَيْهِ نظَرَ إليه فقَال : مَالِيْ مِن كَبيْرِ مَا أخَلِّفُ مِن الدُنيا إلا هَذا ثم ولىّ ظَهْرَهُ فبَكَى وهُو يَقُولُ : أفٍ لَكِ مِن دَارٍ وإن كان كَثِيْرُكِ لَقلِيْل وإن كان طَويْلُكِ لَقَصِيْر وإن كُنَا مِنكِ لَفِي غرور .

مَكرُ الذنوب عَلينا غيرُ مَأمُونِ فلا تَظُنَنَّ أمراً غيرَ مَظْنُونِ
بَلْ المخوفُ علينا مَكر أنْفُسِنا ذَات المُنى دُونَ مَكرالبِيْضِ والجُونِ
إنَّ الليالِيَ والأيَامَ قَدْ كَشَفَتْ مِن مَكْرِهَا كُلَّ مَسْتُورٍ ومَكْنُونِ

وحَدَّثْتنَا بأنا مِن فَرائِسِهَا — نواطقاً بفَصِيْحٍ غَيرِ مَلْحُونِ
واسْتَشْهَدَتْ مَن مَضيَ مِنًّا فَأنبأنَا — عَن ذَاكَ كلُّ لَقَى مِنَا ومَدْفُونِ
وأُمُّ سُوْءٍ إذا مَا رَامَ مُرْتَضِعٌ — أخْلافَها صَدَّ عنها صَدَّ مَزْبُونِ
ونحنُ في ذاك نُصْفيْهَا مَوَدَّتَنَا — تَباً لكُل سَفيْهِ الرّأي مَغْبُونِ
نَشكُو إلى الله جَهْلاً قَدْ أضرَّ بنَا — بَلْ ليْسَ جَهْلاً ولكن علْمَ مَفْتُونِ
أغوَى الهوَى كلَّ ذي عَقْلٍ فَلَسْتَ ترَى — إلا صَحِيْحاً له أفعْالُ مَجْنُونِ
حَتىَّ مَتى نَشْتَري دُنياً بآخِرَة — سَفَاهَةً ونبيعُ الفَوْقَ بالدُّوْنِ
نَبْني المعَاقِلَ والأعْداءُ كَامِنَةٌ — فِيها بكُل طَرِير الحدِ مَسْنُونِ
ونَجمعُ المالَ نَرْجُو أنْ يُخَلدِنَا — وقد أبىَ قَبْلَنَا تَخْليدَ قارُونِ
نَظَلُّ نَسْتنفقُ الأعْمارَ طيِّبَةً — عنها النُفُوسُ ولا نَسْخُوا بها عُونِ
وما تأخّرَ حَيٌّ بَعدَ ميتهِ — إلا تأخّرَ نَقْدٌ بَعدَ عُرْبُونِ

وكان المعتمد بن عباد مَلِك إشْبيْلِيَّة يَرْفُلُ في زاهي حُلَلِ المُلْكِ ويَتَقَلَّبُ في أنواع النَعيم والشرف ، وبَعدَ أن سَلبُه تاشَفين مُلكَهُ وقَبضَ عَلَيْهِ وأسَرَهُ وسَجَنه في أغمات ، دَخَلَتْ عليه في السّجن بَناتُه بَعْدَ مُدَّةٍ وكان يوم عيد وكُنَّ بَعدَ مَا انتزع الملك من أبيهن يَغْزِلْنَ للناس بالأجرة في أغمات حتى إن إحْدَاهُنَّ غَزَلَتْ لأهْل بَيْتَ صَاحِب الشُرطَةِ الذي كان في خدْمَة أبيها فيما مضى وهو في سُلْطَانِهِ فرآهُنَّ في أطمارٍ رَثَّةٍ وحَالةٍ سيئةٍ يُرْثَى لها فَصَدَّ عَنْ قَلْبَهُ فأنْشَدَ هذه الأبيات :

فيما مَضَى كُنْتَ في الأعيادِ مَسْرُوْرَا — فَسَاءَكَ العيْدُ في أغْماتِ مَأْسُورَا
تَرَى بَنَاتِكَ في الأطمار جائعةً — يَغزلْنَ لِلناس ما يَمْلِكْنَ قِطمِيْرَا

ولما رَجَعَ السُلْطَانُ محمد بن محمود بن ملكشاه من محاصرة بغداد إلى همذان أصَابَه مَرضُ السِلِ فلم ينجِ منه .

وقبل وفاته بأيام أمر أن يُعْرَضَ عليه جميع ما يملكه ويَقْدِرُ عليه وهو جَالِس في المنظرة .

فركب الجيش بكماله وأحضرت الأموال كلها ومَماليكهُ حتى جَواريه وحَظاياه .

فَجَعَلَ يَبْكي ويَقُول : هذه العَسَاكِر لا يدفعون عني مِثقالَ ذَرَّةٍ مِن أمْر رَبي ولا يَزِيْدونَ في عُمُري لَحْظَةً .

ثم نَدِمَ وتأسَّفَ على ما كان منه إلى الخليفة المُقْتَفي وأهل بغداد وحِصارهم وأذيتهم .

ثم قال : وهذه الخَزَائِنُ والأموال والجواهر لو قبلهم ملكُ الموت مِني فِداءً لَجُدْتُ بذلك جميعه له .

وهذه الحَظَايَا والجَواري الحِسَان والمماليك لو قبلهم فِدَاءً مِني لكُنْتُ بذلك سَمْحاً لَهُ .

ثم قال : (ما أغنى عَني مالِيَهْ هَلَكَ عني سلطانيه) ثم فَرَّقَ شَيْئاً مِن ذلك الحواصل والأموال ثم توفي .

يأتي على الناس إصْبَاحٌ وإمْسَاءُ ... وكُلُنا لِصرُوْفِ الدهــــر نَسَّاءُ
خَسِسْت يا دَارَ دُنْيَانَا فأفٍّ لمن ... يَرضَى الخسِيْسَةَ أو نَاسٌ أخِسَاءُ
لَقَدَ نَطقَتَ بأصْنَاف العِضَات لنا ... وأنْتِ فيها يظنُ الناسُ خَرسَــــاءُ
إذا تَعَطَّفْتِ يَوْماً كُنْتِ قَاسِيَـــةً ... وإنْ نَظرتِ بعَينٍ فهي شَوْسَــــاءُ
أيْنَ المُلوكُ وأبْنَاءُ الملوك ومَنْ ... كَانَتْ لهمُ عزةٌ في الملك قَعْسَــــاء
نالوا يَسْيراً مِن اللَّذاتِ وارْتحَلُوا ... برَغْمِهِمْ فإذا النَّعْماءُ بأسَـــــاءُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــــــل]

قيل إن حاتم الأصم قال لأولاده إني أريد الحج ، فبكوا وقالُوا إلى مَن تَكِلُنا ، فقالَتْ ابنته لَهم اسْكتوا دَعُوه فليس هو برزَّاق إن الله هو الـرزاق فباتوا جيَاعاً وجَعَلُوا يوبخون البنت ، فقالت اللهم لا تُخجِّلْني بَيْنَهم .

فَمَرَّ أميرُ البلدِ وَطَلَبَ مَاءً فَنَاوَلَه أهلُ حاتم كُوْزاً جَدِيْداً فيه مَاءٌ باردٌ فَشَرِبَ ، وقال دَارُ مَن هَذهِ فقالوا دَارُ حاتمَ الأصَم فَرَمَى فيها مِنْطَقَةً مَن ذَهَب .

وقال لأصْحابِه مَن أَحَبَّني فَعَلَ مِثِلي ، فرمَى مَن حَوله كُلُهم مِثْلَهُ فجَعَلَتْ بنتُ حَاتم تَبْكِي فقالتْ لَهَا أمُهَا مَا يُبْكِيْك وقد وَسَّعَ الله علينا .

فقالت مَخْلُوقٌ نَظَرَ إلَيْنَا فاسْتَغنينَنا ، أي فما ظنك بالخالق جل وعلا الذي سَخَّر لنا هَذا المخلوقَ فَعَطَفَهُ عَلَيْنَا .

قيل لبعض العلماء كيفَ تَركْتَ الصبيان ، فقال ﴿**ولْيَخْشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فَلْيَتَّقُوا الله وليقولوا قولا سَدِيدا**﴾ تَقْوى الله لَنَا ولَهُم .

قيل إنه كان عبدالله بن المبارك يَتَّجر في البحر ويقول لولا خمسة ما اتجرت : سفيان الثوري وسفيانَ بن عيَيْنَة والفضيل بن عياض ومحمد بن السماك وابن عُلَيَّة .

وكـان يَخرج فَيَتَّجرُ إلى خُراسَان فكلما رَبحَ مِن شيء أخَذَ القوت لِلْعِيال ونَفَقَةَ الحج والباقي يَصِلُ به إخوانَهُ الخمسة .

فقدم سنة فقيل له : قَدْ وُلِّيَ ابنُ عُلَيَّة القَضَاءَ فَلَمْ يَأتِهِ ولم يَصِلْهُ بالصُّرَة التي كان يَصلُه بها فيَ كل سنة .

فبلغ إبنَ عُلَيَّة أنَّ ابنَ المُبارك قَد قَدِمَ فركب وتنكس على رأسه فلم يرفع به عبدالله بن المبارك رأساً ولم يكلمه فانصرف .

فلما كان من الغد كتب إليه رقعةً «بسم الله الرحمن الرحيم» أسعدك الله بطاعته وتولاك بحفظه وحاطك بحياطته قد كُنْت مُنْتَظِراً لبِرِكَ وصلتك أتبرك بها .

وجَئتُكَ أمس فلم تُكَلِمْني ورأيتُكَ واجداً عَليَّ فأي شيء رَأيْتَ مِني حتى اعتذر إليك منه .

فلما وردت الرقعة على ابن المبارك دعا بالدواة والقرطاس ثم كتب إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم » وكتب إليه أبياتا نذكر بعضها :

أَيْنَ رِوَايَاتُكَ في سَرْدِهَا عن ابن عَوْنٍ وابن سيْرين
أيْنَ رِوَايَاتُكَ في سَرْدِهَا لِتَرْكِ أبواب السَّلاطِين

فَلَمّا وَقَفَ ابنُ عُليَّة على الأبيات قامَ مِن مَجْلِس القَضَاء فوطىءَ بسَاطَ هَرونَ الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين الله إرحَمْ شَيْبَتي فإني لا أصْبرُ على القَضَاء .

فأعْفَاهُ مِن القَضَاء فلما اتَّصَلَ بعبدِ الله بن المُبَارك وَجَّهَ إليه بالصُّرَةِ التي كان يُتْحِفُه بها مع زُمَلاَئِهِ أهـ .

عن الشعبي قال : جَاءَ رجلان إلى شُرَيح فقال أحَدُهُما : اشْتَرِيْتُ من هذا دَاراً فوجَدْتُ فيها عَشرَة آلاف دِرْهم فقال خذها فقال له إنما اشتَرِيْتُ الدارَ .

فقالَ للبائع فَخُذْهَا أنت فقال له ولِمَ وقَدْ بِعْتُهُ الدارَ بما فيها فأدَارَ الأمرُ بينهما .

فأتى زِيَاداً فأَخْبَرهُ فقالَ مَا كنت أرى أنَّ أحَـــداً هَكــــذا بَقِيْ وقال لِشُريح أدْخـل بَيْتَ المــــالِ فألْقِ في كُلِّ جِـــرابٍ قبضــــةً حتى تكونَ للمسلمين .

وقيل كان مُورِقُ العِجْلي يَتَّجرُ فيصيبُ المالَ فلا يَأتى جُمُعَة وعنده منه شيء يلقى الأخَ فيَعطيه أربعمائة أو خمسمائة أو ثلاثمائة فيقول ضَعْهَا عندك حتى نَحتاج إليها .

قال ثم يلقاه بعد ذلك فيقول الأخ لا حاجَة لي فيها فيقول : والله إنا ما نحن بآخذيها أبدا فَشَأنَكَ بها ، وعلى هذه الطريقة كان كثير من السلف على حد قول الشاعر :

لا يَألفُ الدِرهمُ المَضْرُوْبُ صُرَّتَنَا
لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْـــوَ مُنْطَلِقُ

رُويَ أن صَحَـابياً رَأى طِفـلاً في المسجد يُصَلي بخُشُوعٍ وإتْقَانٍ فقال له بعد صلاته ابنُ مَن أنْتَ .

فقال إني يَتيم فَقَدْتُ أبي وأمِيْ فقال أتَرضَى أن تكونَ لي ولدًا فقال هَلْ تُطْعِمُني إذا جعْتُ قَال نَعَمْ .

قال وهلَ تكسوني إذا عِرَيْتُ قال نعم قال وهَل تُحْيِيْنِي إذا مِتُّ فدَهِش الصَّحَابيُ وقال هذا لَيْسَ إليه سَبيل .

فأشـاحَ الصبيُ بوجْهـهِ وقال إذن اترَكْني لِلَّذي خَلقَني ثم رَزَقني ثم يُمِيتني ثم يُحْيِيْني فقَال الصَّحَابي لَعَمْرِيَ مَن توكَّلَ علَى الله كفَـــــاه .

شكى أحدهم إلى عالِم كثرة العيال وقلة الرزق فقال : ارجع إلى بيتك ، فمن ليس رزقه على الله فاطرده عنك .

هدد الحَجَّاجُ مُحَمدَ بنَ علي رضى الله عنه بكتاب .

فكتب إليه إن لله ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو أن ينظر الله إليَّ نَظْرَةً يَمْنَعُني بها منك .

مَن اتَّكَلَ على حُسْنَ اختيار الله له لم يَتمنَّ غير ما اختار الله عزوجل له

التوكل اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله وفعل الأسباب .

وكُنْ بالذي قَدْ خُطَّ باللَّوحِ رَاضِياً فلا مَهْرَبٌ مِمَّا قَضَاهُ وخَطَّـــهُ
وإن مَعَ الرزق اشتراطُ التماسِـــهِ وقد يَتعَدَّى إنْ تَعَدَّيْتَ شَرْطَهُ
ولَوْ شَاءَ أَلْقَى في فَمِ الطَّيْرِ قُوْتَهُ ولَكِنَّهُ أَوْحَى إلى الطَّيْرِ لَقْطَـــهُ

قال النبي ﷺ لعبدالله بن عباس رضى الله عنهما « إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُحُف » .

قال بعضهم يوصي إخوانه :

إن الجنة لا تنال إلا بالعمل إخلطوا الرغبةَ بالرهبة ودوموا على صالح الأعمال والقوا الله بقلوب سليمة وأعمالٍ صادقةٍ مَن خافَ أدْلَجْ .

مَا دَارُ دُنياً لِلْمُقِيم بِدَارِ وبها النفُوسُ فَرِيْسَةُ الأقْـــدارِ
مَا بَيْنَ لَيل عـــاكِفٍ ونَهارِهِ نَفَسَان مُرْتَشِـــفَانِ للأعْمَارِ
طُولُ الحياة إذا مَضَى كَقَصِيْرِهَا واليُسْرُ لِلإنْسَانِ كَالإِعْسَـــارِ
والعَيشُ يَعقبُ بالمرارَةِ حُلْوَهُ والصَّفْوُ فِيه مُخَلَّفُ الأكْـدَارِ

وكأنما تَقْضِي بُنيَّاتُ الـــرَّدَى لِفَنَائِنَا وَطَراً مِن الأَوْطَـــار
والمَرْءُ كَالطَّيْف المُطِيف وعمْرُهُ كَالنَّوم بَيْنَ الفَجْر والأسْحَار
خَطْبٌ تَضَاءَلَت الخُطُوبُ لهَوْلِه أخْطَارُهُ تَعْلُو عـــلَى الأخْطَار
نُلْقِي الصَّوارِمَ والرِمَاحَ لِهَوْلِهِ ونَلُوذُ مِن حَرْب إلى اسْتِشْعَار
إنَّ الذينَ بَنَوا مَشِيْداً وانْثَنوا يَسْعَونَ سَعْيَ الفاتِكَ الجَبَّارَ
سُلِبُوا النَّضَارَةَوالنَّعِيْمَ فاصْبَحُوا مُتَوَسِّدِيْنَ وَسَـــائِدَ الأحْجَار
تَرَكُوا دِيارَهُمُ على أعْدَائِهِـــم وتوسَّدُوا مَدَراً بغَيرِ دِثَار
خَلَطَ الحِمَامُ قَوِيَّهُمْ بضَعْيفِهِم وغَنِيهُمْ سَاوَى بِذي الاقْتَار
والخَوْفُ يُعْجِلُنا عَلَى آثارِهِم لابُدَّ مِن صُبْحِ المُجِدِّ السَّارِي
وتَعَاقُبُ المَلَوَيْن فِينَـــا نَاثِرٌ باكَرٍّ مَا نَظَمَا مِن الأعْمَـــار

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــــــل]

لا تَسْتَعِيْنَنَّ في حَاجَةٍ بِمَنْ يَبْتَغِي مِثْلَها فينسى الذي كَلَّفْتَهُ أو يَتَنَاسَاه ، ويَبْدَؤ بحَاجَته قَبلَهَا لأنها عنده أهَمُ .

تسعة لا يُفَارِقُهم الحُزْنُ ولا الكآبة : الحقود ، والحسود ، وجديد عهدٍ بغِناه ، وغَنِيٌّ يخشى الفقر ، وفقيرٌ مديون ، وطالبُ رُتبَــةٍ يَقْصُرُ عنهـــا قَدْرُهُ ، وجَلِيسُ أهْـلِ العِلْم وليس منهم ، والمسجون ، ومَن يطلب بثار .

مَن اهْتَمَّ بالـدُنيا ضَيَّعَ نَفْسَه ، ومَن اهْتَمَّ بنَفْسه زَهدَ في الدنيا، طالبُ الدُنيا لا يَخْلُو مِن الحُزْن في حَالَيْن : حُزْنٌ على مَا فَاتَه كيفَ لم يَنَلْهُ ، وحُزْنٌ على ما نَالَهُ يَخْشَى أنْ يُسْلَبَهُ ، وإنْ أمِنَ سَلْبَهُ أيْقَنَ بِتَرْكِهِ لِغَيْره بَعدَ مَوتِهِ فَهوُ مَغْمُوم ومَحْزُون في جميع

أحوالـــــه .

ومهما كانَ الانسان آمِناً في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه وليلته فحزنه وغمه وكدره بسبب أمر الدنيا علامة على نقصان عقله وجهله وحماقته فإن ذلك لا يخلو إما أن يكون تأسُفاً على ما مَضى أو خوفا مِن مُسْتَقْبَل أو حُزْنا على سبب حاضر في الحال .

فإن كان على فائت فالعاقل بصير بأن الجزع والحزن على ما فات لا يَلُم شَعَثَا ولا يَرُمُّ مَا انْتَكَثَ .

ومَا لا حِيْلَةَ فيه فالغَمُّ والهَمُّ عَليه جَهْلٌ ولذلِكَ يَقُولُ الله جَلَّ وعَلا وتقدسَ ﴿ لِكَيلا تَأسَوْا على ما فَاتَكم ﴾ .

وقال الشاعر :

ولا يَرُدُّ عليكَ الفَائِتَ الحَزَنُ

وقال الآخر :

وهل جَزَعٌ مُجْدٍ عَليَّ فأجزعُ

وإن كان تأسُفٌ على حاضر فإمَّا أن يَكُونَ حَسَداً لِوُصُولِ نِعْمَةً إلى مَن يَعْرِفُهُ أو يكونُ حُزْناً لِلْفَقْر وفقدان المال والجاه وأسباب الدنيـــا .

وسبب هذا الجهـل بِغَـوَائِـل الـدنيا وتقلبـاتهـا وسُمُـومِهـا وأكدارها .

ولو عَرَفَها حَقَّ مَعْرِفَتِهَا لشكر الله قائماً وقاعداً وماشياً على كونه مِن المُخِفِّيْنَ دُوْنَ المثقَلين .

قال رسول الله ﷺ « مَن أصبح منكم آمِناً في سِرْبِهِ مُعَافَى في جسده عنده قوتَ يومِهِ فكأنما حِيزت له الدنيا بِحَذافِيرِها » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

إذا ما كان عندي قُوت يَومٍ   طَرَحْتُ الهَمَّ عني يا سَعِيْدُ
ولم تخطر هموم غدٍ ببـــالٍ   لأن غدا له رزق جـــديد

عن ابن عباسٍ وعمران بن الحصين رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال « اطلعتُ في الجنة فرأيت أكْثَرَ أهلِها الفُقَراء » الحديث متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يدخل الفُقَراءُ الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

قال أحْمَدُ بن عاصم : أنفَعُ اليقينِ ما عَظَّمَ في عَيْنَيْك مَا به أيْقَنْتَ وأنفَعُ الخَوفِ ما حَجَزَكَ عن المعاصي ، وأطَالَ مِنْكَ الحُزْنَ على ما فات ، وألْزمَكَ الفكرَ في بَقيَّةِ عُمُرِكَ وخاتمة أمْرِكَ .

وأنفَعُ الصِّدقِ أن تُقرَّ لله عَزَّ وجَلَّ بعُيوب نَفْسِكَ ، وأنفَعُ الحَياءِ أن تَسْتَحِي أنْ تَسألَهُ ما تُحِبُ وتأتي ما يَكْرَه .

وأنفَعُ الصَّبْر ما قَوَّاكَ على خِلافِ هَوَاكَ وأفضَلُ الجِهادِ مُجَاهَدتُكَ نَفْسَكَ لِتَردَّها إلى قَبُولِ الحق .

وأوجَبُ الأعداءِ مِنْكَ مُجَاهَدةً أقرَبُهُم مِنْكَ دُنُوًّا وأخْفَاهُم عَنكَ شَخْصاً وأعْظَمُهُم لَكَ عَدَاوَةً وهو إبْلِيس .

قُلْتُ : فما تَرَى في الأنس بالناس ؟ قال : إن وَجَدْتَ عاقِلاً مأموناً فأنَسْ به واهرُبْ من سَائِرِهِم كَهربكَ مِن السِّباع .

قُلْتُ : فما أفضَلُ ما أتَقرَّبُ به إلى الله عزّ وجَلَ ؟ قال : تَرك مَعَاصِيْه الباطنة .

قُلْتُ : فما بَالُ الباطنةِ أوْلَى مِن الظاهِرةِ ؟ قال : لأنَّكَ إذا أجْتَنَبْتَ الباطنةَ بَطَلَت الظاهرةُ والباطنةُ .

قُلْتُ : فَما أضَرُّ الـطاعـات لي ؟ قال : ما نَسِيْتَ بها مَسَاوِئَكَ ، وجَعَلْتَهَا نُصْبَ عَيْنَيْكَ إدْلالاً بها وأمناً .

قال : وسمعته يقول : اسْتَكْثِر من الله عزّ وجلّ لِنَفْسِكَ قَلِيْلَ الرزق تَخلُّصاً إلى الشُكْرِ ، واسْتَقْلِلْ مِن نَفْسِكَ لله عزّ وجلّ كَثِير الطّاعَةِ إزراءً على النَّفْسِ وتَعَرُّضاً لِلْعَفْوِ .

واسْتَجْلِبْ شِدّةَ التَّيقُظَ بشِـدَّةِ الخَـوفِ ؛ وادفَـعْ عَظِيمَ الحِرص بإيثار القَنَاعَةِ ، واقْطَعْ أسْبَابَ الطَّمَعِ بِصِحّةِ اليأسِ ؛ وسُدّ سَبِيْلَ العُجْب بمعرفةِ النفس .

واطْلُبْ رَاحَـةَ البَـدَنِ بإجْمَامِ القلب ، وتَخَلَّصْ إلى إجْمَام القَلْب بقِلَّةِ الخُلَطَاءِ ، وتَعَـرَّضْ لِرِقَّـةِ القلْب بدوام مجالسة أهْلِ الذكرَ ، وبادِر بانتهَازِ البُغْيَةِ عِندَ إمكانِ الفُرْصَةِ ، وأُحذِّرُكَ «سَوْفَ» .

وكُنْ صَارِماً كَالْوَقْتِ فَالمَقْتُ في عَسَى ... وإيَّاكَ مَهْلاً فهي أخْطَــرُ عِلّتي
وجُدَّ بِسَيْفِ العَزْمِ سَوْفَ فإن تَجُدْ ... تَجِدْ نَفساً فالنَّفْسُ إنْ جُدْتَ جدَّتِ

عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته : أيها الناس تقوّوْا بهذه النِعم التي أصْبَحْتُم فيها على الهَربِ مِن نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة .

فإنكم في دَارِ الثواءُ فيها قَلِيل وأنتم فيها مُؤجَّلُون خَلائِف مِن بعد القُرون الذين اسْتَقْبَلوا مِن الدنيا أنفها وزَهْرَتَها .

فهم كانـوا أطـولَ منكم أعـماراً وأمدَّ أجساماً وأعْظَمَ آثاراً

فَخَـدُوا الجبَالَ وجَابُوا الصُخُورَ ونَقّبُوْا في البلاد مُؤَيَّدَيْن بَبْطش شَدِيدٍ وأجسام كالعِمَادِ .

فما لَبثَتِ الأيامُ والليالي أنْ طَوَتْ مُدَدَهُم وعفَّتْ آثارَهُم وأخْوَتْ مَنازِلَهُم وأنْسَتْ ذِكْرَهُمَ ، فما تُحِسُ منهم مِن أحدٍ ولا تَسمعُ لَهم رِكزاً .

كانُوا بلَهْوِ الأمل آمِنِينَ لِبَيات قومٍ غافِلين أو لِصباح قوم نادِمين ، ثم إنكم قد علمتم الذي نَزَلَ بِسَاحَتِهم بَيَاتاً مِن عُقُوبةِ الله عز وجل .

فأصْبَحَ كثيرمنهم في دِيارِهِم جاثِمِين وأصْبَحَ الباقُون يَنْظُرون في آثارِ نِقمةٍ وزَوال نِعْمَةٍ ومَسَاكن خَاوِيَة فيها آيةٌ لِلَّذِين يَخافُون العذابَ الأليم وعِبْرَةٌ لِمَنْ يَخْشى .

وأصبحتمُ مِن بَعْدِهِم في أجَلٍ مَنْقُوصٍ ودُنيا مَقْبُوضَة في زمان قد وَلَّى عَفْوُهُ وذَهَبَ رَخَاؤُهُ .

فلم تَبْقَ منه إلا حُمَة شرٍ وصُبَابَةُ كدر ، وأهاويلُ عِبَرٍ ، وعُقُوباتُ غِيرٍ وأرْسَالُ فِتَن ، وتَتَابُعُ زلازلَ ورَذالةُ خَلَفٍ بهم ظَهَرَ الفَسَادُ في البرّ والبحر .

فلا تكونُوا أشباهاً لِمَنْ خَدَعَهُ الأملُ وَغُرَّ بطولُ الأجَل وتَبَلَغَ بالأماني . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم مِمَّنْ وَعَى نذرَهُ ، وعَقَلَ فمهد لنفسه .

كتب بعضهم إلى أخ يُوصيه : أمَّا بَعد فإنِّي أُوصيك بتقوى الله ، والعمل بما علَّمك الله عز وجل ، والمراقبة حيث لا يراك أحد إلاَّ الله عز وجل والاستعداد لما ليس لأحدٍ فيه حيلة ، ولا تنفع النّدامة عند نُزوله .

فاحسِر عن رأسك قِناع العافين ، وانتبه من رَقْدة الموتى ، وشمَّر للسّباق غداً فإن الدنيا ميدان المسابقين ، ولا تغترَّ بمن أظهر

النُّسك ، وتَشاغَل بالوصف ، وتَرك العمل بالموصوف .

واعلم يا أخي أنه لابدّ لي ولك من المقامِ بين يدي الله عز وجل ، ولست آمن أن يسألني وإياك عن وَسَاوس الصّدور ، ولحظات العيون ، وإصغاء الأسماع ، وما عسى أن يَعْجز مثلي عن صِفته .

واعلم أنه مما وُصف به منافقوا هذه الأمة أنهم خالَطوا أهلِ الدنيا بأبدانهم وطابَقوهم عليها بأهْوائهم ، وخَضَعوا لما طَمِعوا من نائلهم ، وداهَن بعضهم (بعضاً) في القول والفعل ، فأشِرٌ وبَطِرٌ قولُهم ، ومُــرٌّ خبيثٌ فِعلُهم ، تَركـوا باطِنَ العمـل بلا تَصْحِيْح فحرَمهم الله تعالى بذلك الثمنَ الرَّبيح .

واعلم يا أخي أنه لا يجزى مِن العملِ القولُ ، ولا من البَذل العِدَةُ ، ولا من التّقوى ولا من التوقّي التّلاوُم .

وقـد صِرْنا في زَمانٍ هذه صفة أهله فمن كان كذلك فقد تعرّض للمقْت وصُدّ عن سَوَاءِ السبيل . وفقنا الله عزَّ وجلّ وإياك لما يحب ويرضى ، إنتهى والله أعلم وصلى الله على محمـد وآله وصحبه وسلم .

[فـــوائد ومواعــــظ]

قال مالك بن دينار : مَثَلُ قُراءِ هَذا الزمان كَمَثَلِ رَجُلٍ نَصَبَ فَخاً ونَصَبَ فيه بُرَّةً فجاء عُصْفُورٌ .

فقال : ما غَيَّبك في التُّراب ؟

قال : التــواضعُ قال لأَي شيءٍ إنْحَنَيْتَ قال مِن طُولِ العِبَادَة .

قال فما هذه البُرَّةُ المنصُوبةُ فِيْكَ قال أعْدَدْتُها للصَّائمَيْنَ فقال نِعْمَ الجارُ أنْتَ .

فلما كان عند المغرب دَنَا العُصْفُورُ ليأخُذَهَا فَخَنَقَهُ الفَخُّ .

فقال العُصْفُورُ : إن كان العُبَّادُ يَخْنِقُونَ خَنْقَكَ فلا خَيْرَ في العُبَّاد اليَوْمَ ومَرَّ والي البَصْرةِ بمالك بن دينار والوَالي يَرْفُلُ (أي يجُرُّ ذَيْلَهُ ويَتَبَخْتَر) فصَاحَ به مالكُ أقِلَّ مِن مَشْيَتِكَ هَذِه فَهمَّ خَدَمُ الوالي بمالك فقال دَعُوه .

ثم قال ما أراكَ تَعْرِفُني فقال لَه مَالِكُ ومَن أعْرَفُ بكَ مِني أما أولُكَ فَنُطْفَةُ مَذِرَة وأما آخِرُكَ فجيفةُ قَذِرَة ثم أنْتَ بَيْنَ ذلك تحملُ البَولَ والعَذِرَةَ فنكَسَ الوَالي رَأسَهُ ومَشَى .

عن مالك بن دينار قال قَدِمتُ مِن سفر لي فلما صِرتُ بالجسر قال العَشَّار (الذي يأخذ العشر ضريبة) لا يخرجن أحد مِن السفينة ولا يقومَنَّ أحَدٌ مِن مَكانِه فأخذتُ ثوبي فوضعته على عُنقِي ثم وَثَبْتُ فإذا أنا على الأرض .

فقال العَشَّارُ ما أخْرَجَكَ قُلْتُ ليس معَي شيء قال إذْهَبْ فَقُلْتُ في نفسي هكذا أمر الآخرة (يعني ما يَحْصُلُ لِلْمُخِفِ تعويق يوم القيامة) التعويق يحصل لأهل الأموال كل بحسبه .

وقال بعض العلماء ما يَسُرُّ العاقلَ أنَ الدنيا له مُنْذُ خُلِقَتْ إلى أن تَفْنَى يَتَنعَمُ فيها حلالا لايُسْألُ عنه يومَ القيامة ، وأنه حُجِبَ عن الله عَزَّ وجَل سَاعةً واحدة ، فكيفَ بِمَنْ حُجِبَ أيَّامَ الدنيا وأيامَ الآخِرة .

من أكْثَر ذكْرَ الموت كَفَاهُ اليَسِيْر ، ومن عَلِمَ أنَّ مَنْطِقَه مِن عَمَله قَلَّ كَلامُه (إلا بذكر الله وحمده وشكره) .

عن الأوْزَاعي قال كان يُقَالُ يأتي على الناس زَمَانٌ أقل شيء في ذلكَ الزَّمَانِ أخٌ مُؤنسٌ أو دِرْهَمٌ مِن حلال ، أو عملٌ في سنة .

وقال كان السلفُ إذا صَدعَ الفجر أو قبله بشيء كأنَّ على رُؤوسِهِمُ الـطَّيْرُ مُقبلين على أنفسهم لو أنَّ حَمِيْماً (أي صَدِيقـاً أو قريباً) لأحَدِهم غَابَ عنه حِيْناً ثم قَدِمَ ما الْتَفَتَ إليه .

فلا يَزَالُونَ كذلكَ حَتى يكونَ قَريباً مِن طُلُوعِ الشمس ، ثم يقومُ بعضُهم إلى بعضٍ فيتَحلَّقُون ، وأوَّلُ ما يُفِيْضُونَ فيه أمْرُ مَعَادِهم ، وما هُم صائِرونَ إليه ، ثم يَتَحَلَّقُون إلى الفقه والقرآن .

من توفيق الله للانسان أن يكون له إخوان في الله يَزْدَادُ عِلْمُهُ بمخالطتهم وتَزْدَادُ طَاعَاتُه ويَزْدَادُ حِفظاً لأوقاته .

مَن لم يَكُنْ بَيْنَ إخْوانٍ يُسَـرُّ فإنَّ أوقاتَه نَقْصٌ وخُسْـرانُ
وأطْيَبُ الأرض ما لِلنَّفسِ فيه تقى سَمُّ الخياط مع الأحْبَاب مَيْدَان
وأخبَثُ الأرضِ مَا لِلنَّفسِ فيه أذى خضر الجنان مَعَ الأعْداء نيران

عن عامر أن ابْناً لِشُرَيْحٍ قال لأبيه : بَيْني وبينَ قوم خُصُومة فانْظُر فإن كان الحقُّ لي خَاصَمْتُهم وإن لم يكنَ لِي الحق لَمْ أخَاصِمْهُم فَقَصَّ قِصَّتَهُ عليه .

فقال انْطَلِقْ فخاصِمْهُم فانطلقَ فخاصَمَهُمْ إليهِ فَقَضَى على ابْنِهِ .

فقال له لَمَّا رَجَـعَ إلى أهلِهِ والله لو لم أتقدَّمَ إليكَ لم ألمكَ فَضَحْتِني .

فقال والله يا بُنَيَّ لأنْتَ أحب إليَّ مِن مِلْءِ الأرض مِثْلَهُم ولكن الله هُوَ أعزُّ عليَّ منْكَ أخْشى أن أخْبرك أنَّ القَضَاءَ عَليكَ وَتُصَالِحِهِم فتذهَبَ بِبَعْضِ حَقِهِمْ . تأمل يا أخي هَلْ يُوجَد مِثْل العَدْلِ والوَرَع .

قِيل لإياس بن معاوِيَة ، فيك أربع خصال : دَمَامَةٌ ، وكَثْرة كلام ، واعجاب بنفسك ، وتعجيل بالقضاء .

قال : أما الدمامة فالأمر فيها إلى غيري ، وأما كثرة الكلام فبصَواب أتَكَلَّمْ أمْ بخَطَأ قالوا بصَوَاب ، قال فالاكثار من الصواب أمْثَل (أَي أحْسَن) .

وأما اعجابي بنفسي أفيُعْجِبُكُمْ ما تَرونَ مِني قالوا نَعَمْ ، قال فإني أَحَقُّ أن أَعْجَبَ بنَفسِي .

وأمَّا قولكم فإني أتَعَجَّلُ القَضَاء فَكَمْ هَذِهِ وأشارَ بأصابع يَدِهِ فقالوا خَمْسَة فقال أعْجَلْتُمْ ألاَ قُلْتُمْ واحداً واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة .

قالوا ما نَعُدُّ شَيْئاً قَدْ عَرَفْنَاهُ قال وأنا مَا أَحْبِسُ شَيْئاً قَدْ تَبَيَّنَ لِي فيه الحُكم .

عن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي قال ما رأينا في القراء أحدا مثل عيسى بن يونس أرسلنا إليه فأتانا بالرقة فاعتل قبل أن يرجع فقلت يا أبا عمرو قد أمر لك بعشرة آلاف فقال هي فقلت خمسون ألفا ، قال لا حاجة لي فيها فقلت لِمَ والله لأهَنِئنَكَهَا هِي والله مائة ألف .

قال لا والله لا يَتَحَدَّث أهل العلم أني أكَلْتُ لِلسُّنَّةِ ثَمَنَا ، ألا كَانَ هَذا قبل أن تُرسِلُوا إليَّ ، فأمَّا علىَ الحديث فلا والله ولا شَرْابَةَ مَاء ولا هليلجة .

وقالوا أبو بكر المرزوي سَمِعْتُ أحْمَدَ بنَ حَنبل وذَكَرَ ورع عيسى بن يونس ، قال قدم فأُمِرَ له بمائة ألف أو قال بمال فلم يقبل ، وتدري ابن كم كان عيسى أراد أنه كان حَدَثَ السن .

وقال محمدُ بنُ المنكَدِر حج الرشيد فدخل الكوفة فركب الأمين والمأمون إلى عيسى بن يونس فحدثهما فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم .

فأبى أن يقبلها فظَنَّ أنه اسْتَقَلَّهَا ، فأمر له بعشرين ألفا ، فقال عيسى لا والله ولا إهليلجة ولا شربة ماء على حديث رسول الله ﷺ ، ولو ملأت لي هذا المسجد ذهباً إلى السقف .

طلب الخليفـةُ هِشَـــامُ بنُ عبـدالملك- ذاتَ يومٍ أحَـدَ العُلمـــاء ، فلما دَخَل عليه قال السلام عليك يَا هِشَـــامُ ثم خَلَعَ نَعْلَيْهِ وجَلَسَ بجَانبِهِ .

فَغَضِبَ هِشَامُ وَهَّمَ بِقَتْلِهِ ولَمَّا تَحَــدَّثَ مَعَهُ وجَدَهُ عَالمـــاً كَبِيْراً .

فلما انتهى الحديثُ عَاتَبَهُ بقَوله لَهُ لَقَدْ سَمَّيْتَني باسْمِي ولم تُكَنِّني أوْ تَدْعُني بالخِلافَـــةِ ، وخَلَعْتَ نَعْلَيْكَ وجَلَسْتَ بِجَانِبِي فلِمَ فَعَلْتَ ذلكَ .

فقال لَهُ : لمْ أدْعُكَ بالخِلافَةِ لأن الناسَ لم يَنْتَخِبُوكَ كُلُّهم .

وسَمَّيْتُكَ ولم أكَنِّكَ .

لأن الله جَلَّ وعَلا وتَقَدس نادَى الأنبياءَ بأسمائهم ، فقال يا عِيسى ، يا إبْراهِيْمُ ، يا مُوسي ، يا نُوح ، يا دَاوُود .

وكَنَّى عَدُوَّهُ فقال ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .

وخلعْتُ نَعْلي بجَانِبِكَ وأنا أخلَعُهُمَا لَمَّا أدْخُلُ بَيْتَ رَبِّيْ .

وجَلَسْتُ بجَانبَكَ لأني سَمِعْتُ أن رسول الله ﷺ قال « مَن سَرَّهُ أن يُمَثَّلَ له الرجَالُ قِياماً فَلْيَتَبَوَّءْ مَقْعَدَهُ من النار » .

فكَرِهْتُ لَكَ النار فأمر له هشام بمال فلم يَقْبَلْهُ وانْصَرَفَ .

تأملَ يا أخي هذا الورع عن أخذ شيء من حطام الدنيا على ما حدثهما به وقال لا يتحدث أهل العلم أني أكلتُ للسنة ثمنا .

فما ظَنُّـكَ بمَنْ يَأكُـلُ بالكُتب التي تحتـوي على الآيات والأحاديث باسم تَحْقيق أو نشر ويَحتكرها نسأل الله العفو والعافيةَ في الـدنيا والآخرة . نعوذ بالله مِن عَمى البصيرة قال الله تعالى ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حَسَنا** ﴾ .

قال يوسف بن اسباط : عَجبْتُ كيفَ تَنَامُ عَينٌ مَعَ المخافةِ أو يَغْفُلُ قلبٌ مَعَ اليقين بالمحاسَبَةِ .

مَنِ عرف وجـوب حق الله عز وجل على عباده لم تستحل عيناه أبداً إلا باعْطاءِ المجهودِ مِن نفسِه .

خَلَقَ الله تعالى القلوبَ مَسَاكن لِلذِّكْرِ ، فصارَتْ مَسَاكنَ لِلشَّهَوات .

الشهـوات مُفسِـدَةٌ لِلْقُلوب ، وتَلَفٌ للأموال ، وإخْلاقٌ لِلْوجُوه ، ولا يَمْحُو الشهواتِ مِن القلوب إلا خَوفٌ مُزْعج أو شَوْقٌ مُقْلِق .

وقال الزُهْدُ في الرياسة أشَدُّ مِن الزهدِ في الدنيا .

وكان يُقَال إعْمَلْ عَملَ رَجُلٍ لا يُنَجِّيْهِ إلا الله ثم عمله ، وتوكل توكل رجلٍ لا يصيبه إلا ما كُتِّبَ لَهُ .

اللهم عَرِّفْنى نفسي ولا تقطعْ رجَاءَكَ مِن قلبي .

وقَالَتْ زَوجَته كان يَقولُ اشْتَهي مِن رَبي ثلاثَ خصَال قُلْتُ وما هُنَّ قال : اشْتَهي أنْ أَمُوتَ حِينَ أموتُ ولَيْسَ في مُلْكِي دِرهم ، ولا يكونُ عَليَّ دَيْنٌ ، ولا على عظمِي لحم .

فأعْطي ذلك كُلَّه ولقد قال لي في مرضِهِ أبَقيَ عندَكَ نَفَقَةٌ فَقُلْتُ لا قالَ فماذَا تَرَيْنَ .